الكتاب العرب والمسلمون في الجنة أم في النار؟

٩٣

يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول

الوعي

العدد رقم (٩٣) ـ السنة الثامنة ـ شعبان ١٤١٥ هـ ـ الموافق لكانون الثاني ١٩٩٥ م.

تحريف الاسلام باسم التجديد والعصرنة

مفاهيم حمل الدعوة الاسلامية فكرة وطريقةً

هل من طاعة للحاكم الذي يحكم بأنظمة الكفر ؟

اتجاه الرأي العام في العالم الاسلامي

صراع الحضارات في القرن العشرين (٢)

كفكف الدمع (قصيدة)

AL.WAIE

الوعي

جامعية ـ فكرية ـ ثقافية

السنة الثامنة ـ العدد (٩٣)

تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦٠» صادر عن وزارة الاعلام اللبنانية بتاريخ ١٥/١١/١٩٨٩

اقرأ في هذا العدد (٩٣)

- هل من طاعة للحاكم الذي يحكم بانظمة الكفر؟ ص (٣)
- إتجاه الرأي العام في العالم الاسلامي ص (٥)
- مفاهيم حمل الدعوة فكرة وطريقة ص (١٠)
- صراع الحضارات في القرن العشرين (٢) ص (١٤)
- وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصرة مع القوم الكريم ص (١٧)
- تحريف الإسلام باسم التجديد والعصرنة ص (٢٠)
- الكتاب العرب والمسلمون في الجنة ام في النار ص (٣١)
- كفكف الدمع (قصيدة) ص (٣٣)

المراسلات

S . Hassan
P. O. Box 82
A - 1127 WIEN
Austria (Vienna)

ثمن النسخة

لبنان ٧٥٠ ل.ل.
المانيا ٢.٥٠ مارك
اميركا ٢.٥٠ دولار اميركي
كندا ٢.٥٠ دولار كندي
استراليا ٢.٥٠ دولار استرالي
بريطانيا ٢ دولار اميركي
السويد ١٥ كورون سويدي
الدانمرك ١٥ كورون دانمركي
بلجيكا ٥٠ فرنك بلجيكي
سويسرا ٢ فرنك سويسري
النمسا ٢٠ شلن
باكستان دولار اميركي
تركيا دولار اميركي
اليمن ١٥ ريالاً

الى السادة الكتّاب

- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في الوعي دون اذن مسبق على أن تذكر كمصدر
- لا تقبل الوعي إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها وإلا فعلى الكاتب ذكر المصدر
- لـ الوعي حق تصحيح المواضيع المرسلة. وغير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر
- نرجو ترقيم ووضع خط تحت جميع الآيات القرانية والاحاديث النبوية الواردة في المقالات وتخريجها
- جميع المراسلات ترسل إلى عنوان المجلة في بيروت

عناوين المراسلين

المانيا
Zahir
Postfach 510607
J3409 Berlin
GERMANY

استراليا
AL-WAIE
P.O.Box 384
Punchbowl 2196
NSW - Australia

بريطانيا
AL - WAIE
P.O.Box 2629
London N9 9LW
U.K

الدانمرك
AL - WAIE
P.O.Box 1286
2300 KBH. S
Danmark

كندا Canada
Al - WAIE
2376 Eglinton Ave. East
P.O.Box # 44515
Scarborough, ONT. M1K 2PO

بلجيكا Belgique
A.B.DEL.
B.P. No. 80 - 1070 Bxl

اليمن
السيد محمد عامر
ص ب ٢١١٢٥
صنعاء ـ اليمن

لبنان
بيروت – شوران
ص.ب: ١٣٥٠٩٩

U.S.A. اميركا
Al - WAIE
P.O.Box 366
Oxon Hill MD 20750

اميركا ٣٠ دولاراً اميركياً باكستان ١٥ دولاراً اميركياً تركيا ١٥ دولاراً اميركياً دول اوروبا الغربية ٢٤ دولاراً اميركياً باقي الدول ١٥ دولاراً اميركياً
الدانمرك ١٨٠ كورون استراليا ٣٠ دولاراً استرالياً عدن ٣٠ دولاراً اميركياً تونس ١٤,٠٠٠ ديناراً

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة «الوعي»

هل من طاعة للحاكم الذي يحكم بأنظمة الكفر ؟

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ هذه الاية الكريمة بيّنت ان ولي الأمر الذي له طاعة هو منا، اي مسلم. اما الحاكم غير المسلم فطاعته غير واجبة شرعاً، ولكنها جائزة ما دامت لا توقع في معصية الله. وهذا الموضوع يحتاج إلى تفصيل. والمسألة التي دعت إلى طرح هذا الموضوع في الآن توجد حالة حرب فعلية بين روسيا وفريق من المسلمين هم أهل بلاد الشيشان. وبما أن المسلمين امة واحدة مهما تعددت قومياتهم ومواطنهم فان المسلمين جميعاً الآن في حالة حرب فعلية مع روسيا، والاعتداء الروسي على الشيشان هو اعتداء على الأمة الإسلامية برُمّتها.

الأمة الإسلامية هذه ممزقة الآن إلى بضع وخمسين دويلة. وحكام هذه الدويلات لا يقاتلون إلى جانب الشيشان، ولا يسمحون للمتطوعين بالذهاب للقتال مع إخوانهم ولا يسمحون بإرسال السلاح والمال والمؤن. فهل يطيع المسلم هؤلاء الحكام في مثل هذا الأمر؟

وللإجابة نقول: الحاكم المسلم الذي يحكم بشريعة الإسلام (أي خليفة المسلمين) طاعته واجبة إلا اذا امر بمعصية فإنه لا يطاع بالمعصية ويطاع بغيرها. وقد وردت نصوص كثيرة في ذلك.

الحاكم غير المسلم (الكافر) طاعته غير واجبة، بل هي جائزة فيما ليس فيه معصية لله. وذلك مثل حكام فرنسا والمانيا واميركا والصين... الخ.ولكنْ هناك فرق بين المسلم المواطن في تلك البلاد والمسلم الاجنبي الذي دخل اليها بامان (أي تاشيرة دخول او فيزا). فالمسلم الذي يدخل دار الكفر ويقيم فيها بموجب تاشيرة دخول يكون قد اخذ امانا من حكومة تلك الدار واعطاها امانا. وهذا الأمان هو عهد ويجب على المسلم الوفاء بعهده. وهذا يُلزم المسلم ان يتقيد بقوانين ذلك البلد حسب العهد في تاشيرة الدخول.

وبناء على هذا فان المسلم الفرنسي او الانجليزي او الروسي او الصيني او الاميركي...الخ مطلوب منه ان يساعد إخوانه الشيشان، وغيرهم من المسلمين في العالم حيث يلزم دون ان يكترث بقوانين بلده او سياسة حكام بلده لانه غير مُلْزَم بطاعة شيء من ذلك. أما المسلم الذي يقيم هناك بموجب عهد امان (تاشيرة الدخول) فليس له مخالفة عهده. اي إن المسلم الفرنسي، مثلا، مطلوب منه شرعاً ان يقوم داخل فرنسا بأعمال ضغط على سفارة روسيا او مكاتب او مصالح روسيا ولو كان ذلك مخالفا لقوانين فرنسا، بينما المسلم المقيم في فرنسا بموجب تاشيرة دخول ليس له ذلك شرعا. وإذا دخل المسلم الفرنسي مثلا إلى بلد آخر بدون تاشيرة دخول فله ان يمارس من الضغط ما يحق له ممارسته في بلده. أما اذا دخل بلداً بتاشيرة دخول فعليه ان يلتزم بعهده.

الحكام في البلاد الإسلامية يزعمون انهم مسلمون ولكنهم يطبقون انظمة كفر وبعض انظمة إسلامية. هؤلاء طاعتهم غير واجبة شرعاً. ويجب على المسلمين العمل الدائب على خلعهم وهدم انظمتهم غير الإسلامية كي يقيموا الدولة الاسلامية على انقاضهم. وريثما يتم ذلك تجوز طاعتهم فيما ليس فيه معصية لله.

اما إذا ورد نص شرعي على وجوب طاعتهم في مسالة معينة فإننا نلتزم بطاعتهم في تلك المسالة. فمثلا جاء نص عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوجب القتال معهم (تحت إمْرتهم) فصار المسلم ملزماً بذلك. ونحن ذكرنا هذه المسالة بالذات لأن لها مساسا بموضوعنا هذا

اما النص فهو قوله ﷺ: «الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برّاً كان او فاجراً، وإن عمل الكبائر» هذا الحديث رواه ابو داوود وابو يعلى. قال بعض المحققين إن هذا الحديث ضعيف، وعلة ضعفه انه منقطع. إذ هو مروي من مكحول عن ابي هريرة، ومكحول لم يسمع من أبي هريرة لأن مكحولاً من تابعي التابعين وأبو هريرة من الصحابة. ولكن الانقطاع في هذه الحالة لا يُسْقط الحديث، لان مكحولاً

ثقة ضابط نبيه وليس مغفلا. ولو كان مغفلا لكان الانقطاع عنده علة قادحة فعلا. وهناك احاديث اخرى بمعناه. فصار الحديث معتبرا في الاستدلال.

الحديث يوجب القتال مع الامراء حتى لو كانوا فجرة. اما إذا كانوا كفرة فليس القتال واجبا معهم. فهل حكام المسلمين الآن فجرة فقط. او وصلوا إلى حد الكفر.

هم يزعمون انهم مسلمون. وهناك قرائن ترجح انهم (او ان اكثرهم) كفرة. من هذه القرائن انهم يتركون كتاب الله وسنة رسوله ويشرعون انظمة وقوانين من غيرهما دون إكراه من احد. اي هم يفضلون شرائع الناس على شرع الله. ولكن بما ان تكفير الناس يحتاج إلى قطع ويقين ولا يكفي فيه غلبة الظن والترجيح. وبما ان هؤلاء الحكام لهم شبهة ان يكونوا مسلمين. فنحن مطلوب منا شرعا ان نعاملهم على انهم مسلمون فجرة. وعلى ذلك فالجهاد معهم واجب. بحسب هذا الحديث. حين يامرون بقتال الكفار. اما اذا امروا بقتال فتنة بين المسلمين فهذا معصية لا تجوز طاعتهم فيه. وكذلك إذا امروا بوقف القتال نهائيا فان عملهم معصية لا تجوز طاعتهم فيه. وذلك مثل تنازلهم عن فلسطين لليهود وتوقيع الصلح معهم.

هؤلاء الحكام إذا قاموا هم بتنظيم امر القتال لمساعدة الشيشان (وغيرهم من المسلمين) فيجب ان نكون تحت إمرتهم. اما إذا قال هؤلاء الحكام (جمهورية الشيشان جزء من روسيا. ولا يحق لنا بموجب القانون الدولي مساعدتهم لان هذا تدخلا في الشؤون الداخلية لروسيا) إذا قال الحكام مثل هذا القول فان طاعتهم غير واجبة. وعلى المسلمين ان يسعوا بطريقتهم الخاصة إلى نصرة اخوانهم.

وتتفرع عن مسالة القتال مسالة اعطاء الامان. فمثلا توجد في تركيا سفارة روسية ومكاتب ومصالح روسيه. وهذه معها امان من الحكومة التركية. فما مدى الزامية هذا الامان للمسلم التركي؟ هل يحل له شرعا ان يقوم باعمال ضد هذه المصالح الروسية التي معها امان من حكومته؟

انه ما يرجح على فهمنا انه لا يجوز للمسلم التركي. مثلا. ان يقوم باعمال ضد المصالح الروسية في تركيا لانها عندها امان من حاكم تركيا. واعطاء امان لرسل العدو او لبعض مصالح العدو ليس معصية. وبما ان طاعة الحاكم الفاجر واجبة على المسلم في شان القتال. وبما ان مسالة الامان هي فرع من مسالة القتال فانه لا يجوز شرعا للمسلم التركي ان ينقض عهد الامان الذي اعطته حكومته. وإذا دخل هذا المسلم التركي إلى اليونان. مثلا. خلسة. او دخل العراق خلسة. فانه يجوز له شرعا ان يعمل هناك ضد المصالح الروسية لانه لم يدخل بموجب عهد (تاشيرة دخول).

والمفروض في حكومات البلاد الاسلامية ان تطرد السفارات والمصالح الروسية من باب الضغط على روسيا. وان تنظم الدعم العسكري والسياسي والاعلامي للمسلمين المظلومين.

قال تعالى: ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾ □

صدر كتاب «الوعي» ٣:

الدعوة إلى الاسلام

تاليف: أحمد المحمود

عن دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان - ص.ب ١٣٥١٩٠

كان هذا الكتاب قد تم نشره في مجلة «الوعي» على حلقات خلال السنوات الأربع الماضية.

إتجاه الرأي العام في العالم الاسلامي

بقلم: د. ماهر عبد الجواد بخارست ـ رومانيا

إن المدقق في واقع الأمة والمجتمع في العالم الاسلامي اليوم، يدرك أن حملة الدعوة الإسلامية قد نجحوا بحمد الله تعالى وتوفيقه في إيجاد الرأي العام المنبثق عن وعي عام عند الأمة على الاسلام. إلا أن عملية تغيير المجتمع في بلاد المسلمين وتحويله الى مجتمع اسلامي تقتضي من حملة الدعوة مباشرة القيام بما من شأنه أن يحدث الانقلاب الشعوري الى جانب الانقلاب الفكري الذي تمكنوا من احداثه في المجتمع بهدف التمكن من تحقيق الانقلاب السياسي بشكل طبيعي وحتمي بإذن الله.

وذلك لأن الانقلاب الفكري الذي يشهده العالم الاسلامي منذ أواسط السبعينات لا ينتظر أن ينتج عنه الانقلاب الشعوري بشكل طبيعي أو آلي في ظل الظروف والاوضاع غير الطبيعية المفروضة على المجتمع في العالم الاسلامي. وبالتالي فإن الانقلاب السياسي الذي يهدف اليه حملة الدعوة لن يتأتى تحقيقه بطريقه الطبيعي.

لذلك فإن الرأي العام المنبثق عن وعي عام لم ينتج عنه أو معه حتى الآن تبني الأمة الاسلامية كلها بوصفها أمة قضية الاسلام المصيرية. كما لم ينتج عنه أو معه كذلك انقياد الأمة لحملة الدعوة نحو تحقيق هذه القضية المصيرية.

إن انقياد الأمة لحملة الدعوة لتحقيق قضية الاسلام المصيرية يقتضي ان يكون الإسلام بوصفه عقيدة ينبثق عنها نظام يعالج جميع مشاكل الحياة مرتبطا وممتزجا بالطاقة الحيوية التي تتحرك في مجموع الأمة فتدفعها لطلب الاشباع. فتقوم الأمة، بوصفها أمة بالتحرك بالقول أو العمل من اجل تحقيق الإشباع على الوجه الذي يقتضيه الإسلام. ما يعني بالضرورة التحرك للقيام بالأعمال التي تتحقق بها عودة الإسلام مطبقا في واقع الحياة والمجتمع والدولة.

هذه المقدمة كان لا بد منها عند الحديث عن واقع ما وصلت اليه الأمة والمجتمع في العالم الاسلامي اليوم، لأن الهدف من دراسة الواقع انما هو من أجل تحديد نوع العمل الموصل لتحقيق الغاية. فمن أجل الوصول الى نتائج يجب أن تتبع القاعدة العملية، وهي أن يكون العمل مبنياً على الفكر الناتج عن الحس بالواقع. ويكون من أجل غاية معينة. وبما ان الخطط والأساليب يقررها نوع العمل، من هنا كان نوع العمل وكانت الخطط والأساليب متغيرة تبعاً لتغير الواقع والغاية.

لذلك فإن ادراك الواقع وتحديد الغاية مسألة هامة وضرورية لتحديد نوع العمل ولرسم الخطط والأساليب.

«إن الرأي العام المنبثق عن وعي عام له مدلول لا بد من الوعي عليه، لأنها مسألة اختلط على الكثير من الناس أمرها، وتصوره البعض أنه عمل عام وليس رأياً عاماً. أي انضباط بالاسلام من قبل مجموع الناس، والحقيقة أن معنى هذا القول أن تلمس الأمة بمجموعها ضرورة الاحتكام الى الاسلام ضرورة لا تدفعهم اليها عاطفة عاصفة أو رغبة انية ملحة وانما يدفعهم ادراكهم بأن حياتهم وولاءهم يجب أن يكون للاسلام وحده، وهو أمرٌ لا يعني بالضرورة أن يباشر الناس تطبيق الأحكام الشرعية على أنفسهم، وإنما معناه أن يوجد الولاء للاسلام لا لغيره»وهذا لا يظهر أثره ملموساً في الحياة العملية الا في التطبيق».

أمّا ما هي الدلائل والمؤشرات والوقائع الملموسة التي تدل بمجموعها على أن مدلول هذا الرأي العام المنبثق عن وعي عام قد تحقق وجوده فعلاً في الأمة والمجتمع في العالم الاسلامي اليوم فهي كما يلي:

١ ■ الأمة الاسلامية في جميع المعمورة اصبح عندها تطلع الى الاسلام كنظام يعالج جميع مشاكل الحياة.

فالمسلمون في جميع البلاد الاسلامية بل في جميع العالم، يتطلعون لعودة الخلافة، وعودة الاسلام الى الحكم والدولة.

وهذه الوقائع والأحداث البارزة التي تدل على ذلك أتمّ دلالة، موقف الأمة الاسلامية كلها من الثورة التي رفعت شعار التغيير على أساس الاسلام في ايران سنة ٧٩، وموقفها من الاستفتاء الذي أجري على الدستور في مصر سنة ٨٠، وموقفها من الانتخابات النيابية في كل من الأردن سنة ٨٩ والجزائر سنة ٩٠.

كما وان هذه الوقائع تدل على أن الأمة الاسلامية بمجموعها باتت تدرك أن الكيانات السياسية المفروضة عليها لا تمت الى الاسلام بصلة.

ووجه الدلالة في ذلك هو أن هذه الوقائع والأحداث التي ذكرناها على سبيل المثال لا الحصر تمثل احداثاً تتعلق بالتغيير الفكري والسياسي لواقع الحياة والمجتمع والدولة. وقد كان الاسلام هو شعار هذا التغيير.

إن موقف الأمة من هذه الوقائع والأحداث يختلف في فهم دلالته عن موقفها من وقائع وأحداث أخرى تمسّ غريزة التديّن عند المسلمين مثل الاعتداء على مسجد أو سب الاسلام، أو سب الرسول ﷺ أو غير ذلك من الوقائع والأحداث التي تمسّ مشاعر الأمة فتدفعها لاتخاذ موقف.

لذلك نستطيع أن نقول بأن عقيدة فصل الدين عن الحياة لم تعد لها السيطرة على أذهان المسلمين، ولم تعد تتحكم في نظرة المسلمين الى ما يجب أن يكون عليه واقع حياتهم ومجتمعهم ودولتهم.

٢ ■ العقيدة الاسلامية أصبحت عند المسلمين أساساً للتشريع ومقياساً للأفكار.

ومن المؤشرات التي تدل على ذلك أن عملية ترويج وتسويق تشريعات الكفر وأفكاره في بلاد المسلمين لا يُكتب لها النجاح اذا لم تصبغ بصبغة اسلامية، واذا لم تُروَّج لها عمائمُ اسلامية باعت دينها بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين.

فالديمقراطية مثلاً لا يُرَوَّجُ لها «الآن» في بلاد المسلمين على اعتبار أنها تعني: أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله، ولا أنها تعني أن المشرِّع هو الإنسان وليس الله تعالى.

وإنما يُروَّج لها على اعتبار أنها تعني رفع الأحكام القمعية التي تفرضها انظمة الحكم البوليسي التي تتحكم في رقاب المسلمين وعلى اعتبار أنها هي الشورى.

وعلى ذلك فإن الدعاية لترويج وتسويق الديمقراطية في بلاد المسلمين انما تكون للّفظ دون المعنى الحقيقي الذي تدل عليه.

وبالتالي فإن قبول المسلمين للديمقراطية إن وجد فهو قبولٌ للّفظ المقترن بالمدلول الإسلامي ليس غير.

لقد سار الغزو الفكري والثقافي الغربي لبلاد المسلمين في مراحل ثلاث:

الأولى: بدأت مع انتكاس الأمة من حالة النهوض ودخولها في حالة الانحطاط. في هذه المرحلة لجأ الغرب الكافر الى صبغ أفكاره وتشريعاته بصبغة اسلامية حتى يجد لها قبولاً لدى المسلمين، وذلك لأن المسلمين كانوا ما يزالون يتمسكون بالاسلام وينظرون اليه كعقيدة ينبثق عنها نظام يعالج جميع مشاكل الحياة.

الثانية: بدأت مع وصول المسلمين الى الحضيض في التأخر الفكري والانحطاط السياسي. في هذه المرحلة كان الغرب الكافر قد شكك المسلمين في صلاحية شريعتهم لمواكبة العصر، وزيّن لهم ما جاء به من حضارة. وبذلك سيطرت أفكار الغرب ومفاهيمه عن الحياة سيطرة كاملة.

الثالثة: بدأت مع ظهور ملامح التغيير في اتجاه الرأي العام نتيجة للانقلاب الفكري الذي يشهده المجتمع في العالم الاسلامي.

في هذه المرحلة اضطر الغرب الكافر الى الرجوع لنفس الاسلوب الذي بدأ به في غزوه للعالم الاسلامي فكرياً وثقافياً. وبذلك يكون قد انتهى الى حيث بدأ. الا أنه في هذه المرحلة سينتهي الى حيث لا يبدأ بإذن الله، ففي المرحلة الأولى كان المسلمون في حالة انتكاس، أمّا الآن فان المسلمين يواجهون هذا الغزو وهم سائرون بطريق تصاعدي نحو الرقي والنهوض.

لذلك فان تصدي حَمَلَة الدعوة لهذا التراجع الغربي في ساحة الصراع لا يكون عن طريق فصل المصطلحات الغربية الكافرة عن المدلول الاسلامي فحسب، بل ويكون عن طريق تحميل الأمة الاسلامية كلها، بوصفها امة، مسؤولية خوض هذا الصراع ضد الكفر وانظمته وأفكاره، حتى يتم تطهير بلاد المسلمين من كل سيطرة أو نفوذ للغرب الكافر عليها.

٣ ■ المجتمع في العالم الإسلامي كله مجتمع واحد، والعقيدة الاسلامية هي الرابط الجامع لأبناء الأمة الاسلامية الواحدة.

في ظل اجواء الإنحطاط التي كانت تسيطر على

الأمة الاسلامية، تمكّن الغرب الكافر من تقطيع روابط الأخوّة الاسلامية بين الشعوب المسلمة فحلت محلها روابط القومية أي روابط العصبية القبلية، وتمكن كذلك من تقطيع هذه الأخوّة الاسلامية في القطر الواحد، فضلاً عن الشعب الواحد، فحلت محلها روابط الأرض المسماة بالوطنية.

ومع نجاح حَمَلَة الدعوة في إحداث الانقلاب الفكري كخطوة على طريق النهوض بالمجتمع في العالم الاسلامي برز للعيان أن هذا المجتمع هو في الحقيقة مجتمع واحد على الرغم من استمرار وجود الكيانات السياسية التي قام الغرب الكافر بتشييدها في بلاد المسلمين لترسيخ التجزئة والانفصال بين الشعوب المسلمة على الأسس الاقليمية والقومية.

الرئيس الأمريكي السابق ريتشارد نيكسون في كتابه «أمريكا والفرصة التاريخية» الصادر في سنة ١٩٩٢ يلفت نظر الغرب مؤكداً على هذه الحقيقة بقوله: «هناك عنصران مشتركان فقط في العالم الاسلامي: الدين الاسلامي، ومشاكل الاضطراب السياسي، والاسلام ليس ديناً فقط بل هو أيضاً الأساس لحضارة كبرى، ونحن نتحدث عن العالم الإسلامي ككيان واحد ليس لأن هنالك مركزاً سياسياً يوجه سياساته بل لأن الشعوب التي يتكون منها تتشارك في تيارات سياسية وثقافية مصدرها الحضارة الاسلامية. فالتحركات السياسية في مختلف بلاد العالم الاسلامي تجري وفقاً لإيقاع واحد بصرف النظر عن الفوارق بين هذه البلاد. هذه الوحدة في المعتقد وفي السياسة تغذي تضامناً غير متين ولكنه حقيقي: عندما يقع حدث خطير في جزء من العالم الاسلامي يسمع له صدى أكيد في بقية الأجزاء».

في سنة ٧٩ تطلّعت أنظار المسلمين في كل مكان الى حيث الثورة التي رفعت شعار التغيير على اساس الاسلام. لقد اعتبر المسلمون جميعاً هذا الحدث انه بداية التغيير، بداية الخلاص من أنظمة الكفر المفروضة عليهم.لقد تطلع المسلمون الى الثورة الى حيث يرون رايات الجهاد القادمة لتحرير فلسطين من رجس اليهود.

فما هو الرابط الذي يربط بين ايران وما يحدث في ايران وبين المسلمين جميعاً وما ينتظره المسلمون أن يحدث في بلادهم نتيجة لما يحدث في ايران؟ هل هي القومية او هي الوطنية او هو الاسلام الذي جعل من أمته أمة واحدة من دون الناس؟

وفي سنة ٩٠ وقفت الأمة الاسلامية كلها الى جانب أهل العراق في الحرب المجرمة التي شنتها الدول الغربية الكافرة بزعامة أمريكا عدوّة الاسلام والمسلمين.

نعم إن الأمة الاسلامية لم تتحرك تلك الحركة الفاعلة التي بها تتحقق النصرة الفعلية لاهل العراق، وذلك بسبب الظروف والأوضاع غير الطبيعية المفروضة على المنطقة،وبسبب واقع النظام البعثي الجاكم في العراق وكيفية ادارته لمجريات احداث هذه الحرب. لذلك كان لا بد من تسليط الضوء على بعض جوانب موقف الأمة الاسلامية من هذه الحرب من أجل ادراك حقيقة هذا الموقف:

أ ـ مظاهرات التأييد العارمة التي اجتاحت البلدان الاسلامية. لا فرق بين البلاد العربية وغير العربية كلها في ذلك سواء. مطالبةً الحكومات في البلاد الاسلامية بدخول الحرب واعلان الجهاد كان هو المحرك الرئيسي لهذه المظاهرات. لقد حدث ذلك في بنغلادش وفي تركيا وفي ايران تماماً كما حدث في مصر والأردن والمغرب وبقية أجزاء العالم الاسلامي.

ب ـ المؤتمرات والندوات والخطب والمحاضرات كلها كانت تطالب الأنظمة بالتحرك الفعلي لدخول الحرب واعلان الجهاد.

جـ ـ مئات الآلاف من المتطوعين من أبناء هذه الأمة الكريمة كانوا قد أعلنوا استعدادهم الفوري للقيام بعمليات استشهادية ضد الغزاة الغربيين.

د ـ تقديم المعونات بكافة اشكالها وبكل الوسائل والطرق المتاحة للعراق واهل العراق.

لقد كشفت هذه الحرب أن الأمة الاسلامية هي أمة واحدة وأنها بحق أمة الجهاد والاستشهاد في سبيل الله. وبذلك تكون قد كشفت عن كون الأمة الاسلامية أمة كبرى وفيها القدرة الذاتية على استعادة مجدها وعودتها دولة كبرى يحسب لها كل حساب في الميزان الدولي وفي رسم سياسة العالم والتاثير في احداثه.

ففي الوقت الذي كانت فيه الشعوب الغربية تطالب دولها بوقف هذه الحرب تحت شعار أن «النفط لا يساوي الدم»، كانت شعوب العالم الاسلامي قد خرجت في الشوارع لتعلن لحكامها وللعالم أنها «أمة الجهاد». فلمن توهب العزة والنجباة في ساحة الصراع الدولي وفي ساحات الموت لطلاب الموت ام لطلاب الحياة؟

الرئيس الامريكي السابق جورج بوش كان يدرك تماماً حقيقة ما عليه المجتمع في العالم الاسلامي، لذلك عمل بمختلف الوسائل والأساليب لعزل العراق عن ارتباطه بعالمه الاسلامي:

أ ـ قيام الرئيس بوش شخصياً بتنبيه المسلمين وتذكيرهم بأن صدام حسين بعثي وليس بمسلم.

ب ـ الفتاوى التي اصدرها علماء سلاطين أمريكا في المنطقة بهدف كشف الغطاء الاسلامي عن النظام البعثي الحاكم في العراق.

جـ ـ اشراك بعض الجيوش من ابناء المسلمين في هذه الحرب الى جانب أمريكا وحلفائها.

د ـ الحرص على بقاء اسرائيل في موقف الحياد بشتى الوسائل والأساليب.

٤ ■ الاسلام هو التيار السياسي الجارف في المجتمع والذي يدلل على هذه الحقيقة ثلاثة أمور بارزة في المجتمع:

أ ـ لقد سقط من اعتبار الأمة كافة الحركات والأحزاب السياسية التي تقوم على غير اساس الاسلام. وذلك كنتيجة طبيعية لسقوط الأفكار التي تقوم عليها، فلم يعد لهذه الحركات أي وزن فكري او سياسي في حياة الامة.

ب ـ جميع الحركات الاسلامية جعلت غايتها العمل لإقامة الخلافة الاسلامية، مما يدل على ان العمل للاسلام اصبح يعني العمل لإعادة دولة الاسلام.

ج ـ الاسلام هو التيار السياسي الوحيد الذي يشكل مصدر خطر حقيقي ومباشر على جميع انظمة الحكم القائمة في العالم الاسلامي.

٥ ■ القادة السياسيون، بل الاجراء الموظفون في المجتمع في العالم الاسلامي سقطوا بالجملة من اعتبار الأمة.

فلم يعد في منطقة العالم الاسلامي قيادة واحدة تثق بها الأمة، أو تعقد عليها أملاً أو ترجو منها خيراً. فالأمة الاسلامية والمنطقة في العالم الاسلامي تعيش في «فراغ قيادي» وهذا الفراغ القيادي الذي نعيشه المنطقة هام وضروري الا أنه خطر في الوقت نفسه.

٦ ■ الانقلاب الفكري الذي يشهده العالم الاسلامي يُحدث تأثيراً في الساحة الدولية.

وقد ظهر هذا التأثير في ناحيتين:

١ ـ اعلان الغرب الكافر على لسان قادته ومفكريه بأن الاسلام قد أصبح هو العدوّ رقم واحد. فالغرب الكافر ينظر للإسلام، كحضارة وكدولة تقوم على أساسه، مصدر خطر حقيقي عليه وعلى حضارته ونظام حياته.

٢ ـ على ضوء ادراك الغرب الكافر لحقيقة الواقع الذي أصبحت عليه الأمة والمجتمع في العالم الاسلامي، قام برسم سياسته ووضع خططه وأساليبه لمواجهة هذا المد الاسلامي المتنامي على النحو التالي:

أ ـ الاحتلال العسكري لمنطقة الخليج والمياه المحيطة بالمنطقة. وهذا الاحتلال ليس وليد ساعته، وليس هو بسبب احتلال العراق للكويت، وانما هو مخطط له منذ السبعينات، وهو ما يعرف بمبدأ كارتر عام ١٩٧٧. وما احتلال العراق للكويت الا الحجة والذريعة لا غير.

ب ـ وضع الخطط الأمنية التي تهدف الى ما يلي:

١ ـ تقوية وسائل السيطرة والتسلط الغربي على بلاد الاسلام.

٢ ـ الحيلولة دون أي تحرك اسلامي في المنطقة.

٣ ـ اضعاف المنطقة اقتصادياً وعسكرياً.

ج ـ التسريع في عقد معاهدات الاستسلام بين الدول العربية والكيان اليهودي في فلسطين.

لقد باشرت امريكا زعيمة الكفر بفرض السلام كقضية على أهل المنطقة على اثر حرب الخليج والنتائج التي انتهت عليها:

١ ـ بالمقارنة بين الواقع الذي كان والواقع الذي سيكون فان هذا هو الوقت ليس الأنسب فحسب بل هو حقاً «الفرصة الأخيرة» لانتزاع الاعتراف من أهل المنطقة بحق دولة يهود في العيش بسلام في هذا المحيط الاسلامي.

٢ ـ على أثر الهزة العنيفة التي اصابت المسلمين بهزيمة العراق، سقطت كل القضايا التي اصطنعها الغرب الكافر لإشغال الأمة بها عن قضيتها المصيرية، فكان لا بد من فرض قضايا جديدة لإبقاء الأمة في دوامة القضايا التي تشغلها عن قضية الاسلام المصيرية. فكان «السلام» وكانت «الديمقراطية».

د ـ صبغ التشريعات الغربية الكافرة بصبغة إسلامية وإظهار الحكومات والدول بمظهر الدول المتمسكة بالإسلام. الغرب الكافر بزعامة امريكا اذا تتبع هذا الأسلوب فإنه يحقق ما يلي:

١ ـ تمييع المجتمع من ناحية الإسلام ليسهل عليه اخراج الاسلام منه.

٢ ـ تمييع قضية المسلمين المصيرية عن طريق نماذج الحكم الإسلامي المشوه.

٣ ـ السيطرة الكاملة على المنطقة ككل في جو من الاستقرار السياسي.

هـ ـ إعلان الحرب على الاسلام والمسلمين في كل مكان وبمختلف الوسائل والاساليب.

ومن أشكال هذه الحرب المعلنة ملاحقته لحملة الدعوة الاسلامية بهدف القضاء عليهم بعد أن أطلق عليهم أسماء عدة كالأصوليين، والاسلاميين، والمتطرفين، وذلك لتضليل الأمة عن حقيقة هذا الصراع من انه ليس موجهاً ضدها بوصفها أمة اسلامية ولا هو ضد الاسلام بل هو ضد فئة أو فئات ارهابية حتى تبقى الأمة خارج ساحة الصراع.

هذا هو واقع ما عليه الأمة والمجتمع في العالم الاسلامي اليوم: رأي عام منبثق عن وعي عام عند الأمة على الإسلام، وقد تكوّن من هذا الوعي العام توحيد هدف الأمة كما توحدت عقيدتها ووجهة نظرها في الحياة.

ومن الجدير إعادة التأكيد عليه هنا، أي عند الحديث عن «الرأي العام» أنه ليس عملاً عاماً بل «رأياً عاماً» لذلك لا يجوز أن ينصرف ذهن المراقب المتبع لاتجاه الرأي العام الى الأعمال التي تقوم بها الأمة او الى الأعمال التي كان يجب أن تقوم بها الأمة.

فالرأي المنبثق عن وعي لا يعني بالضرورة أن يدفع صاحبه الى حمله أو حتى الى التقيد به، ألا ترون بان كثيراً من الواعين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف! لذلك لا يسأل هنا انه ما دام الرأي العام المنبثق عن وعي عام قد تحقّق وجوده فعلاً في الأمة والمجتمع فلماذا لا تتحرك الأمة لإسقاط انظمة الكفر المفروضة عليها واقامة دولة الخلافة على انقاضها، ولماذا لا تتحرك الأمة وهي تشاهد حكامها يسارعون في عقد معاهدات الاستسلام والتنازل عن فلسطين لأعداء الله اليهود؟

نعم لا يُسأل عن ذلك لأن تلبس الأمة بالقيام بالاعمال التي تؤدي الى حدوث الانقلاب السياسي في المجتمع انما يكون عندما تتبنّى الأمة قضية الاسلام المصيرية قضية مصيرية لها. فموضوع «الرأي العام» غير موضوع «تبني الأمة قضية الاسلام المصيرية»، وغير موضوع «انقياد الأمة لحَمَلَة الدعوة نحو تحقيق قضية الاسلام المصيرية». فالموضوع الاول يتعلق بالرأي والثاني يتعلق بالتلبس بالقيام بالعمل، كما أن أعمال حمل الدعوة التي تؤدي الى ايجاد الرأي تختلف عن الاعمال التي تؤدي الى احتضان هذا الرأي والى الانقياد لحملة هذا الرأي، وزيادة في الاطمئنان الى أن هذا الرأي العام منبثق عن وعي عام وليس عن ثورة مشاعرية اجتاحت الأمة. أذكر هنا بعض الملاحظات التي تشير الى ذلك:

١ ـ إن الطريق الذي سلكه حَمَلَةُ الدعوة لإحداث هذا التغيير في المجتمع هو الاشتغال بإيجاد الوعي العام قبل الرأي العام وبالفكر قبل المشاعر.

٢ ـ إن هذا الرأي العام يسير بخطىً تصاعدية باتجاه الإسلام منذ أواسط السبعينات وحتى اليوم، فلو كان ناتجاً عن ثورة مشاعرية أو رغبة آنية ملحة لكان قد تعرض للتراجع والانتكاس نتيجة لهبوب عوامل الإحباط والتيئيس، ونتيجة لمحاولات تشويه الاسلام وافراغه من مضمونه عن طريق نماذج الحكم لاسلامي المشوه التي ابتدعتها أمريكا في المنطقة. الا أن ذلك لم يحدث بفضل الله، على الرغم من عظم وخطورة الاحداث التي عصفت بالأمة والمنطقة،وعلى الرغم من استمرار أمريكا في السير في صناعة هذه النماذج الاسلامية المشوهة. مع كل ذلك فالمد الإسلامي آخذ بالنمو والتعاظم، وتيار الإسلام هو التيار السياسي الوحيد الذي له تأثير حقيقي وفاعل على أنظمة المجتمع في العالم الإسلامي

٣ ـ إن الأمة الاسلامية لم تتخل عن مشاعر الاسلام الروحية مطلقاً منذ أن بدأت بالهبوط الى هوة الانحطاط، اي منذ القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) والى يومنا هذا. إلّا أن الأمة كانت قد فقدت ثقتها بأفكار الاسلام وأحكامه. اي فقدت ثقتها بصلاحية الاسلام لان يكون نظام حياتها، وبالتالي فإن افكار الاسلام وأحكامه لم تعد لها مشاعر عند الأمة، أما المشاعر الروحية الكهنوتية فقد احتفظت بها الأمة ولم تفقدها، لأنها لم تفقد ثقتها بروحانية العقيدة الاسلامية. ومع احتفاظها بهذه المشاعر الا أنه لم ينتج عنها في تلك الحقبة المظلمة من تاريخ الأمة رأي عام للإسلام، بل ان الرأي العام الذي كان يسود جميع أوساط الأمة لا فرق بين الأوساط السياسية ولا بين الاوساط الشعبية ولا بين أوساط المتعلمين وأوساط

التتمة ص (١٦)

مفاهيم حمل الدعوة فكرةً وطريقةً

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾. هذه الآية الكريمة قد بينت وبشكل قاطع لا يدع مجالاً للشك أن الإسلام قد كمل وتم، فلا يجوز لأي مسلم بعد ورود هذه الآية المحكمة أن يظن ـ مجرد ظن ـ أنه لا توجد في الإسلام معالجات لقضايا الإنسان ومشاكله سواء في الماضي أم في الحاضر أم في المستقبل. كما لا بد وأن يدرك الناس، وبالأخص، المسلمون أن القيادة الفكرية يجب أن تكون للاسلام، ولا يكون ذلك إلا بادراك أن جميع قضايا الإنسان ومشاكله قد وضع لها الإسلام حلولاً ومعالجات هي أحكام شرعية أشار إليها صراحة أو وضع لها أمارة يستدل بها عليها.

بيد أنه يجب أن يدرك أن هذه الأحكام الشرعية تشتمل على معالجات لقضايا الإنسان ومشاكله، وبيان كيفية القيام بهذه المعالجات. وأنه لا يجوز ولا يستقيم الحل إذا أخذ منفصلاً عن طريقة معالجته. فغريزة البقاء مثلاً، والتي تحافظ على وجود الإنسان كفرد، من أبرز مظاهرها التملك. واشباع هذه الغريزة من خلال هذا المظهر عند الإنسان مشكلة من المشكلات التي تواجه المجتمعات. وقد وضع لها الإسلام المعالجة بتحديد طرق التملك الشرعية، وتنمية الثروة، من عمل وارث وبيع وهبة ونهي عن السرقة والاحتكار والغش والغبن،وربط ذلك كله بتطبيق نظامه الاقتصادي تطبيقاً كلياً كاملاً. فالسرقة مشكلة فرعية من مشكلات إشباع غريزة البقاء وقد عالجها الإسلام بتحريمها، وجعل بيان كيفية المعالجة،وهو طريقة المعالجة التي هي قطع يد السارق، مرتبطاً بالدافع وراء السرقة. فلا تقطع اليد إذا كان الإنسان يسرق من جوع أو يسرق شيئاً غير محرز أو يسرق من مال فيه شبهة العموم للمسلمين. والتملك عولج عند الإنسان بإباحة التملك وبتحديد طرق التملك، وحتى المشكلات الفرعية الناشئة عن الخروج على طرق الاشباع الشرعية قد عولجت وبينت كيفية المعالجة. وهكذا جميع مشاكل الإنسان وقضاياه قد أتى لها الإسلام بمعالجات هي أحكام شرعية. وبيان لكيفية المعالجات هو أيضاً أحكام شرعية يجب أن تلتزم. فلا يجوز أخذ معالجات غير معالجات الإسلام، كما لا يجوز أخذ بيان كيفية المعالجات ـ طريقة المعالجات ـ من غير الإسلام.

وعلى هذا إذا ذكر الجهاد، وهو فرض فرضه الله على المسلمين لاعلاء كلمة الله في الأرض، فيجب إدراك أنه طريقة معالجة حمل الدعوة للأمم والشعوب إذا حيل بينها وبين الإسلام. وأنه طريقة معالجة تعرض بلاد المسلمين للغزو من قبل الكفار أي طريقة حماية الدعوة حيث أن بلاد المسلمين هي المكان الذي فيه ومنه تعلو كلمة (لا إله إلاّ الله محمد رسول الله). فهو طريقة الإسلام لنشر دعوته إذا منعت من الوصول إلى أذهان الناس وأفهامهم ووضعت الحواجز المادية أمام الدعوة، مما يوجب الجهاد لإزالة تلك الحواجز حتى يمكن للناس معايشة تطبيق الإسلام عليهم مباشرة وإقامة الحجة عليهم، وبعد ذلك من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وحسابه عند ربه.

أما في حال تعرض بلاد المسلمين للغزو من قبل الكفار فيصبح الجهاد فرض عين على أهلها، فإن لم تقم بهم الكفاية انتقل إلى من يلونهم من المسلمين، فإن لم تقم بهم الكفاية استغرق الفرض جميع الأمة.

وعلى هذا فإن «استئناف الحياة الإسلامية وحمل الإسلام دعوة للعالم بالدعوة والجهاد» هو معالجة الإسلام لحمل دعوته وحمايتها. أما بيان كيفية المعالجة ـ أي بيان طريقة ذلك ـ فهو بما فرضه الله على المسلمين من إقامة دولة تنوب عنهم في إقامة الحياة الإسلامية وحمل الإسلام للعالم بالدعوة والجهاد، فهي التي لها صلاحية استئناف المسلمين للجهاد لحمل الإسلام دعوة للعالم حينما توضع الحواجز والعوائق المادية أمام الدعوة، وهي التي تقيم الحياة الإسلامية بتطبيق أنظمة الإسلام.

أما تعرض بلاد المسلمين للغزو من قبل الكفار في حال عدم وجود دولة إسلامية فهي مشكلة. ولا يجوز تصور أن الإسلام لم يُعطها معالجة. بل أعطاها معالجة وبيان طريقة المعالجة، وذلك حينما أوجب الجهاد على المسلمين لصد هذا الغزو، وجعل طريقة تنفيذ هذه المعالجة بالقتال من قبل المسلمين، أهل البلد، ومن يلونهم من المسلمين ان لم تقم بأهل هذا البلد الكفاية، حتى يتسغرق الفرض الأمة جميعها، بغض النظر كان هناك دولة إسلامية أم لم يكن. «فالجهاد ماض إلى يوم القيامة». ولذلك كان من

الخطأ شرعاً ـ وهذا ليس خطأ في اجتهاد ـ تصور أن التبرعات للمسلمين في البلاد التي يجتاحها الكفار يسقط الاثم، أو أن الدعاء لهم بالنصر وعلى اعداء المسلمين بالهزيمة والشتات يسقط الاثم. لا والله لا يسقط الاثم. بل يجب على المسلمين أولاً دفع هؤلاء الحكام إلى استخدام القوة العسكرية ودفعهم إلى استنفار المسلمين. والعمل على إقامة دولة الإسلام ـ دولة الخلافة جنباً إلى جنب. فهذا هو الحل الجذري لوقف نزيف دماء المسلمين وامتهان كرامتهم وهتك اعراضهم. أما الدعاء، وإن كان عملاً من أعمال الإسلام إلا أنه ليس طريقة الإسلام في صد العدوان. وهو يستحب دائماً في جميع الأوقات، وكذلك دفع التبرعات وإن كان عملاً من أعمال الإسلام إلا أنه صدقات تستحب في جميع الأوقات، ولا تكون من الجهاد إلا إذا قصد تجهيز المقاتلين، وليس تسمين المسلمين للذبح، واستخدامهم وقوداً لحرب تخدم مصالح الكفار. ولنا في رسول الله ﷺ اسوة حسنة. في يوم بدر، يوم أن صف الصفوف وقام يدعو بعد ذلك «اللهم ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض بعد اليوم». نعم، اللهم هو أن تعبد الارض لله رب العالمين بيد المسلمين وليس الهم هو ان يفرج الكرب عن المسلمين وكأنهم اقلية يبحث لها عن حق في الحياة. إن اللجوء إلى الدعاء والاكتفاء به، وإن كان من أعمال الإسلام، مخالفة لشرع الله في هذه الحالة، بل وقد يلجأ إليه الطواغيت الظلمة لتنفيس غضب المسلمين، واضفاء الشرعية على اعمالهم. وحتى تتضح الصورة في الأذهان، نضرب هذا المثال: هل يعقل انه إذا أتى للإنسان من يريد ماله أو عرضه، أن يلجأ إلى الدعاء إلى الله بان يقضي على هذا الباغي أو أن يكسر قدمه؟ وحديث الرسول ﷺ ورد فيه «أرأيت ان جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: فلا تعطيه مالك. قال: ارأيت ان قاتلني؟ قال: قاتله. قال: أرأيت ان قتلني؟ قال: فانت شهيد. قال: أرأيت ان قتلته. قال: هو في النار».

إن إقامة الدولة في الإسلام ـ دولة الخلافة ـ في حد ذاته ليس غاية، بل طريقة. فالغاية هي أن تستأنف الحياة الإسلامية ويحمل الإسلام رسالة للعالم بالدعوة والجهاد، وكلاهما فرض على المسلمين بلا خلاف. ففي حال وجود دولة الإسلام، لا شك أن الحياة الإسلامية ستستأنف، وذلك بعد توقفها بسقوطها سنة ١٩٢٤. ويجب أن تباشر الدعوة للاسلام فوراً وأن تدعو للجهاد ضد كل من يحول بين الإسلام والناس. هذا في حال وجود الدولة والتي هي طريقة الإسلام لتنفيذ هذا الواجب على المسلمين. أما في حال غيابها فأصبح فرضاً على المسلمين العمل على ايجادها، لأنها حكم شرعي من رب العالمين للعيش في حياة اسلامية وحمل الإسلام للعالم. فالبرغم من أنها طريقة إلا أن غيابها اصبح مشكلة يجب أن يبحث لها عن حل من خلال الإسلام. وحيث انه ـ اي إقامة الدولة ـ واجب، كانت طريقة إقامته ايضاً واجباً من باب «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب». والمتتبع لسيرة الرسول ﷺ يجده عليه الصلاة والسلام سار في مكة، وهي التي لم يوجد فيها حياة إسلامية ابتداءً، بطريقة شرعية تضافرت الأدلة من السيرة النبوية الشريفة على شرعيتها. فمكة كمجتمع لا يحيى حياة إسلامية، كانت تعالج بوحي من الله رب العالمين وهذه المعالجة ادت إلى إقامة حياة إسلامية بتطبيق أحكام الإسلام وانظمته من قبل دولة. وعلى هذا عمد السير في إقامة دولة الإسلام، التي هي طريقة الإسلام للعيش في حياة إسلامية وحمل الإسلام دعوة للعالم يجب التزام طريقة رسول الله ﷺ من قبل التكتلات التي حملت على عاتقها ذلك.

كما يجب أن يوضع في الاعتبار ان التزام طريقة رسول الله ﷺ هو أخذ لطريقة المعالجة لمجتمع لا يحيى حياة إسلامية، وليس معناه الدعوة المطلقة إلى الإسلام ابتداءً او أن هناك أحكاماً تعطل أو تتوقف إلى أن تقام الدولة بحسب مفهوم المرحلية (المرحلة المكية والمرحلة المدنية كما يقول البعض) وهذا مناف لمفهوم اية ﴿اليوم أكملت لكم دينكم...﴾. بل معناه اخذ طريقة المعالجة ذاتها مع إدراك أن الأحكام التي شرط فيها وجود خليفة المسلمين يأثم المسلمون على عدم تطبقها بطريقتها. أما الأحكام التي ليس شرطاً فيها وجود الدولة فيجب على المسلمين القيام بها.

وهذه الطريقة بوجه عام تعتمد على الصراع الفكري بين الإسلام وأفكار الكفر التي تحول بين الناس، وبالأخص المسلمين، والإسلام. فكما كان القرآن ينزل منجماً طبقاً للحوادث والوقائع داحضاً أفكار الكفر، مسفهاً صناديده الذين يحولون بين الإسلام والناس، كان لزاماً على من يحمل الدعوة اليوم وبعد توقف الحياة الإسلامية، أن يبحث في واقع المجتمع منقباً عن أفكار الكفر وعملائه الذين يحولون بين الإسلام والناس، وأن يأتي من الإسلام بما يدحض هذه الأفكار ويضع أفكار الإسلام موضعها، ويكشف عملاء الكفار وأساليبهم في الصد عن الإسلام والكيد للمسلمين، حتى يوجد للاسلام نقطة ارتكاز يحمل منها رسالته للعالم بالدعوة والجهاد. فالقرآن سفه اللات والعزى وغيرها، وعاب وأد البنات، وتطفيف الكيل،

وتوعد ابا لهب والوليد بن المغيرة وغيرهم. وهكذا عالج الإسلام في مكة العقيدة، وعالج انظمة الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وتصدى لزعماء الكفر، واوجد في المدينة نقطة ارتكاز تطبق الإسلام وتحمله للعالم.

فاليوم، الواقع لا يختلف، وخاصة بعد غياب الحياة الاسلامية وسقوط دولة الإسلام. فكان لا بد لمن يريد العمل للاسلام ان ينقب في المجتمع. فاليوم اللات والعزى اختلفت في اشكالها وإن لم تختلف في واقعها، والانظمة المطبقة على المسلمين تتناقض مع الإسلام، والقائمون عليها اعداء للاسلام والمسلمين. فمن هنا كان لا بد لمن يريد العمل للاسلام أن يدخل في صراع فكري، وكفاح سياسي يتبنى فيه مصالح الأمة ويتصدى لعملاء الكفار من الحكام بحسب طريقة الإسلام، مجمعا المسلمين على راي عام واع، ساعيا إلى كسب القوى القادرة على التغيير والتاثير في المجتمع، لايجاد نقطة ارتكاز للدعوة. وعندئذ يكون الجهاد لحمل الدعوة إذا حيل بين الأمم والشعوب والإسلام.

وغياب الحياة الإسلامية وعدم حمل الإسلام للعالم وتوقف الجهاد وإن كان من المنكر إلا انه يجب التفريق بينه وبين المنكر حينما يقع من خليفة المسلمين، وبين المنكر حينما يقع من الأمير المتغلب في دار الإسلام، وبينه وبين منكر عدم وجود دار إسلام ووجود طواغيت ظلمة مغتصبين لسلطان الأمة.

فالمنكر حين يقع من الحاكم، خليفة المسلمين، يعالج بحسب درجة المنكر، فالخط العام هو الصبر عليه مع المحاسبة وإن اخذ الأموال وجلد الظهور. أما إذا اتى بالكفر الصراح اي الكفر الذي اقيمت عليه البينة القاطعة كالحكم بغير ما انزل الله كفرا وجحودا، وبعد حكم قاضي المظالم بذلك، فلا يكون هناك سمع ولا طاعة، بل يجب على المسلمين التغيير عليه باليد افرادا وجماعات.

هذا في حق خليفة المسلمين. أما الواقع الذي نحياه اليوم، فيختلف عن واقع وجود خليفة للمسلمين ونظام الإسلام مطبق، ودار الإسلام لها وجود، فالواقع اليوم هو اغتصاب طواغيت ظلمة للسلطان من الأمة. فالله سبحانه وتعالى اعطى الأمة سلطانا بان تقطع يد السارق وترجم او تجلد الزاني وتحمل الإسلام رسالة للعالم بالدعوة والجهاد، وهكذا جميع احكام الإسلام، فالأمة هي المخاطبة بتنفيذ الأحكام في العبادات والمعاملات والعقوبات والمطعومات والملبوسات، ولها سلطان التنفيذ. إلا ان الله سبحانه وتعالى جعل طريقة التنفيذ ان تعطي الأمة هذا السلطان إلى من ينوب عنها فيه، فإن هو قصر فبالاضافة إلى اثمه تاثم الأمة ان سكتت عليه ولم تحاسبه، لأنها هي المسؤولة عن تنفيذ الأحكام، وجعل الله خليفة المسلمين ينوب عنها في ذلك. فاغتصاب هذا السلطان في دار الإسلام، وقع الخلاف بين الفقهاء في معالجته بين من يتبنى قتال هذا المغتصب، وبين عدم قتاله درءا للفتنة،وتعرف هذه المسالة بمسالة «ولاية المتغلب» وهي بحث فقهي غير هذا الواقع الذي نبحثه الا وهو «اغتصاب طواغيت ظلمة للسلطان من الأمة».

ولبحث هذا الواقع، أولا لا بد من إدراك ان الخلافة عقد شرعي بين الأمة وخليفة المسلمين، وموجبات هذا العقد ان يحكم خليفة المسلمين بالاسلام ويحمل الإسلام رسالة للعالم بالدعوة والجهاد، ويحمل الأمة على ذلك إن هي ابت، وعلى الأمة السمع والطاعة ابدا، والمحاسبة، والخروج عليه بالقتال عند الاتيان بالكفر البواح. هذه هي موجبات العقد، والعقد بين طرفين،بين الأمة والخليفة، فمن الخطا تطبيق هذا العقد بموجباته بين الأمة،وهؤلاء الطواغيت الظلمة مغتصبي السلطان، لانه ليس هناك عقد من الأساس يلزم الطرفين، بل ان تطبيق موجبات العقد عليهم يضفي عليهم نوعا من الشرعية.

إن هذه الحالة مثلها مثل من يسكن في دار تملكها غصبا ثم تاتي إليه وتطالبه بدفع الأجرة بحسب عقد الايجارة. وعلى هذا فواقع هؤلاء الطواغيت الظلمة هو واقع «المغتصب» فهم مغتصبون السلطان من الامة، وهذا واقع غير واقع إقامة دولة الخلافة، وغير واقع الجهاد، وغير واقع الحكم بغير ما انزل الله، وغير واقع خليفة المسلمين، فهذا واقع «اغتصاب ومغتصبين» ينطبق عليه حديث رسول الله ﷺ: «على اليد ما اخذت حتى تؤديه» وحديث: «من اخذ شبرا من الأرض ظلما فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع ارضين» وحديث: «من اخذ من الارض شيئا بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع ارضين». وهذا ليس خاصا بالأرض، فهو يشمل كل غاصب، لان قوله: «شبرا من الأرض» وقوله: «من الارض شيئا» ليس وصفا مفهما حتى يكون خاصا به مخرجا خلافه بل هو من قبيل النص على فرد من افراده لانه لا مفهوم له، ولذلك كان قوله: «يطوقه يوم القيامة من سبع ارضين» وقوله: «خسف به يوم القيامة إلى سبع ارضين» دليلا على انه يعذب عقابا على غصبه عذابا مغلظا، وهذا يعني أن تغلظ

العقوبة على الغاصب.وقد عد بعض الفقهاء الغصب من الكبائر. أما الدليل على مقاتلة الغاصب لمنعه من الغصب واسترداد المغصوب فهو حديث رسول الله ﷺ «جاء رجل فقال: يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: فلا تعطيه مالك. قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: قاتله. قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: فأنت شهيد. قال: أرأيت إن قتلته. قال: هو في النار». فالحديث يدل على جواز القتال لمغتصب المال. ولم يقع الخلاف إلا في القدر الذي يقاتل من أجله، فالمالكية لا ترى جواز القتال في القدر اليسير، ولا خلاف في المال الكثير والشيء العظيم. بل إن البعض حمله على وجوب القتال. وإنما قيل بالجواز وليس بالوجوب لأن طلب المقاتلة، وهو قول الرسول ﷺ «قاتله» وإن اقترن بقرينة تدل على الوجوب وهي قوله: «فأنت شهيد». وفي رواية أخرى «فإن قتلت ففي الجنة». يعتبر طلبا غير جازم لأن هناك قرينة تمنع من الجزم وهي أن لمالك المال أن يسامح الغاصب بماله. وهذا يعني أن له أن لا يقاتله ويترك ماله، ما يتنافى مع الجزم. ولذلك كان الحكم بجواز المقاتلة وليس بوجوبها. وعلى هذا يكون على هؤلاء الطواغيت الظلمة المغتصبين رد ما اغتصبوه للأمة. وأن تُغلّظ عليهم العقوبة على الغصب. وجائز، وإن كان ليس بواجب، قتالهم وقتلهم من أجل ذلك ومن باب الاغتصاب وليس من باب الحكم بالإسلام أم عدمه. وليس من باب إقامة دولة الخلافة. وليس من باب أنهم ولاة أمر أتوا بكفر بواح. وإذا كان من باب تغيير المنكر باليد فلا بد من توفر الاستطاعة حيث أن الاستطاعة شرط. فإن لم توجد الاستطاعة يُسعى إلى إيجادها وتوفيرها

فيجب إدراك أن التغيير على حاكم المسلمين إذا أتى بكفر بواح أو صراح - أي لا شك فيه بالدليل القطعي - يكون باليد حال وجود الإسلام مطبقا كاملا. أي حال وجود المسلمين في دار الإسلام. أما في حالة غياب دار الإسلام بغياب دولته وتطبيق أنظمة غير أنظمته. فالمصيبة أعظم، إذ ليست القضية قضية حاكم يحكم بغير ما أنزل الله في دار الإسلام بل القضية هي غياب هذه الدار بالكلية. فالإسلام أوجب طاعة الحاكم الفاجر والفاسق في دار الإسلام وجعل الجهاد من خلفه واجبا أيضا. فالقضية اليوم ليست هي كفر حاكم أو إسلامه بل القضية إقامة دولة الإسلام وداره.

إن حمل الدعوة هو تبليغ الإسلام إلى الكفار بوجه لافت للنظر، وهو فرض من رب العالمين حدد لنا طريقته وجعلها فرضا. فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ ويقول تعالى أيضا: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده، هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج، ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾ ويقول تبارك وتعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا و نذيرا﴾ ويقول تبارك وتعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ ويقول ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله.. الحديث». وهكذا الكثير من الأدلة التي تدعو إلى حمل الإسلام إلى العالمين. وطريقة هذا الحمل يجب أن تكون من خلال دولة تنوب عن المسلمين في ذلك وتستنفرهم للجهاد من أجل ذلك فتدخل الأمم والشعوب في دين الله أفواجا. وأية أفراد أو جماعات قاموا لحمل الإسلام دعوة للعالم دون إدراك أنه لا بد من إقامة دولة الإسلام التي تنوب عن المسلمين وتستنفرهم للجهاد من أجل ذلك. يكونون قد خالفوا الطريقة الشرعية التي حددها الله لحمل الإسلام دعوة للعالمين. ويجب التفريق بين دعوة الأفراد للإسلام ابتداءا وبين حمل الدعوة للعالم. فإذا كان المسلم في وسط غير المسلمين فعليه أن يدعوهم للإسلام وإذا أسلموا فيجب أن يعلمهم أن الله فرض عليهم حمل الإسلام دعوة للعالم بإقامة دولته. ولا يقال أن الإسلام انتشر في كثير من البلدان عن طريق التجار المسلمين بل الصحيح أنه انتشر نتيجة جهد هؤلاء المستند إلى دولة تملأ الدنيا نورا وتشرئب إليها الأنظار مهدت الطريق أمام هؤلاء التجار، بل والأهم إدراك الناس إن وراء هؤلاء الدعاة دولة على أتم استعداد لتسيير الجيوش ودك الحصون إذا مست شعرة من هؤلاء التجار أو حيل بينهم وبين الدعوة.

أما ما يقوم به البعض الآن من جماعات تسافر إلى بلاد الكفار لدعوة الناس أو إقامة حملات طبية وتعليمية، أو إقامة تكتلات تسعى إلى الإصلاحات الجزئية والتدريجية معتمدة على إصلاح الأفراد، والانخراط في أنظمة كافرة بحجة إصلاحها، فبالإضافة إلى فقدانهم فكرة الإسلام وطريقته، أو عدم ربطهم فكرة الإسلام بطريقته، فهذا مع الأسف ومع حسن نية هؤلاء، لا يرضي الله ورسوله ولا يرفع الإثم عنهم وعن المسلمين. بل هو على العكس منافٍ لقول الله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم

التتمة ص (٣٢)

صراع الحضارات في القرن العشرين (٢)

تحليل قوى أطراف الصراع:

إن الظروف السياسية أو القوى المادية والعسكرية المتاحة: لا تعتبر أي منهما أو حتى كلاهما سبباً حقيقياً في هزيمة حضارة ما، وذلك أن الصراع بين الحضارات تحكمه قوة مفاهيمها عن الحياة، وهي عنصر الصراع الحقيقي فيه.

وتراجع حضارة ما أو سقوطها قد لا يرجع إلى صراعها مع حضارة مقابلة بقدر ما قد يكون السبب هو فشل أدائها اثناء تطبيق مفاهيمها في معترك الحياة.

وفشل اداء حضارة ما لا يعني ان العيب راجع إلى المفاهيم دائماً بل قد يكون الخلل راجعاً إلى عوامل خارجة عنها: كان تكون تلك المفاهيم قد افتقدت سلامة التطبيق: او دخلت عليها عوامل التغشية فابهمتها وأفقدتها النقاء والصفاء والبلورة.

وإذا تطرق الخلل إلى ذات المفاهيم، وتبين ان العيب راجع إليها، فسوف تكون الجولة في النهاية عليها، وذلك لأن فساد المفاهيم سوف يؤدي إلى نتائج فاسدة أثناء السير في معترك الحياة وتراكم النتائج الفاسدة يدفع إلى التطلع للخلاص من تلك المفاهيم او ترقيعها. وإذا احتاجت إلى الترقيع فذلك يعني ان قوتها الظاهرة سوف تأخذ طريقها للانهيار. وابرز ما يُسرِّع به هو ظهور بديل حضاري أقوى.

لكل ما سبق سوف نركز في تحليلنا على ذات المفاهيم وبخطوط عريضة للتبيّن قوتها من ضعفها، وذلك يحتم محاكمتها عقلياً برؤية مطابقتها للواقع الذي جاءت لعلاجه.

ولأننا حددنا منذ البداية نطاق الرؤية للحضارة من الزوايا الثلاث والتي نراها شاملة ومنصفة للنظر من خلالها، فسوف تكون تلك الزوايا الثلاث هي قطب الرحى الذي يدور عليه التحليل، متناولين أبعاد كل زاوية منها ما أمكن، ثم نستعرض معالجة الحضارات الثلاث لتلك الزاوية.

الزاوية الأولى: الأساس الذي قامت عليه الحضارة.

أما الأساس الذي قامت عليه كل حضارة من الحضارات الثلاث فهو أساس عقائدي كما اسلفنا: حدد رؤية كل حضارة منها للوجود ابتداء وعلاقة هذه الرؤية بالحياة.

والوجود الذي نعنيه هو الكون والإنسان والحياة، والرؤية المقصودة هي الفكرة الكلية عنها: هل قبلها شيء؟ وهل بعدها شيء؟ وما هي علاقة ما قبلها وما بعدها بالحياة؟.

وبمعنى آخر: تفسير لغز وجود الإنسان والذي يشكل عقدة العقد بالنسبة إليه، والتي بحلها يمكن اعطاء رؤية لباقي عقد الحياة ومشاكلها.

ونحن هنا أمام ثلاث إجابات:

احداها: تقول إن قبل هذا الوجود خالقاً خلقه، وبعده حساب دقيق على أعمال الإنسان.وان صلة الخالق بحياة البشر صلة تنظيم شامل بأوامر ونواه.

والثانية: أجابت بترك البحث عما قبل الحياة وعما بعدها وركزت على إنكار صلتهما بالحياة، وهي بهذا تعطي اعترافاً ضمنياً.

والثالثة: تنكر وجود شيء قبل الحياة أو بعدها.

والحكم على صدق هذه الإجابات يتوقف على أمرين:

الأول: اقناع العقل بمطابقة الإجابة للواقع المبحوث.

والثاني: موافقته لفطرة الإنسان.

والحقيقة التي لا ينكرها العقل البشري. بل هي من بديهياته، أن لكل نظام مُنظِم. فهو لا يُصدِّق أن ابرة أو حتى عود ثقاب وجد دون صانع ومنظم، ولا يترك أي مجال للصدفة. فكيف إذا انعم النظر في تركيب جسم الإنسان وعمل أجهزته وتناسقها، وإذا ما القى نظرة على الكون ورأى انتظام حركة الكواكب والنجوم، ونظر إلى الموجودات تركيباً وترتيباً، افيخرج بنتيجة ينكر فيها وجود صانع ومنظم لهذا الوجود؟ لا، بل إن الذي ينظر بنزاهة وجدية قاصداً الاهتداء إلى الحق يصل إلى الإيمان بوجود الخالق المدبّر.

وإذا كان الأمر بمثل كل هذه البساطة التي تقترب من البديهيات فلماذا إذن أنكر المنكرون؟ وأجاب غيرهم بترك البحث؟.

ودون الدخول في التفصيلات فقد ولدت حضارة من أنكر ميتة لمصادمتها للضرورة العقلية واعتمدت في صمودها باديء الأمر على ناحيتين:

الأولى: إدخال العقل بمتاهات وخيالات البسوها لباس العلم وقوانينه في الوقت الذي كان يقف فيه العقل ذاهلاً أمام قفزات العلم وتخطيه لدجل متخلفين وقفوا أمام العلم باسم الدين.

والثانية: صرف أنظار الناس بالتركيز على مخاطبة المعدة لا العقل، واستغلال الدافع الغريزي

عند الإنسان لنفوره من الظلم، في إحداث الثورة على الظلم الاقتصادي، في وقت كان الكثيرون يعانون من الفقر والجوع نتيجة لتطبيق المذهب الفردي (الراسمالية) عليهم.

وأما من أجاب بترك البحث مع اعترافه الضمني، فلم تكن إجابته ناتجة عن البحث في واقع الوجود، وإنما بناها على الحل الوسط - ترضية - بين من أنكروا الدين والخالق من ورائه، كردة فعل على تصرفات رجال الدين النصارى في أوروبا في ذلك الوقت، وبين رجال الدين الذين ارادوا أن تبقى أهواؤهم متحكمة في حياة الأوروبيين رغم عدم وجود دور لدينهم اصلاً في معالجة مشاكل الحياة ورعاية شؤون الناس فيها. لذلك كانت الإجابة التي تقنع العقل هي التي تقول بوجود خالق مدبّر للوجود.

ولما كان الإنسان يحس من نفسه العجز ويتطلع إلى اعطاء منتهى الاحترام القلبي - التقديس - إلى من يحس بسموه عنه، وعجزه اتجاهه.

ولما كان تاريخ الإنسان لم يخلُ اطلاقا ولا في أي عصر من العصور من اتائه طفوسا وعبادات، مما يؤكد حاجته إلى التقديس والعبادة. لذلك كان تقديس خالق الوجود بعد الإيمان به هو أرقى مظهر يفرغ به تلك الطاقة، فلا يسجد لصنم ولا يعبد بقرة أو يقف خاشعا أمام جثة لبنين المحنطة أو يقدس كلامه، بل يقدس ما هو فوق المخلوقات.

* من هنا فقد ولدت الحضارة الاشتراكية ميتة كما قلنا لمصادمتها لضرورات العقل البشري ومخالفتها لفطرة الإنسان. وقد ماتت بالفعل وسقطت صريعة خطأ أساسها، وكان دور الآخرين في اسقاطها هامشيا في الحقيقة واقفا عند حد التعجيل به.

* أما الحضارة الراسمالية فهي كذلك محكوم عليها بالتدهور والسقوط. وسر سقوطها الأساسي كامن في خطأ عقيدتها القائلة بفصل الدين عن الحياة. أما لماذا تأخر سقوطها إلى هذا الوقت فلشدة ما اعجبني تحليل المفكر الإسلامي الأستاذ «يوسف عبد ربه» والذي نشرته مجلة «الوعي» تحت عنوان «مستقبل الراسمالية» عدد (٦٨) حيث يقول: «... ترك المبدأ الراسمالي متنفساً ضئيلاً يهرب إليه الفرد عندما تضيق عليه الدنيا وتخنقه الأزمات العقيدية والمجتمعية. ويعتبر هذا المتنفس اشباعا جزئيا وضئيلاً لبعض غريزة التدين المفطورة في الإنسان، ورغم هامشية هذا المتنفس فإنه يحمي إلى حين سور الفكر الراسمالي من السقوط، إذ بسبب هذا المتنفس يترك الفكر الغربي الباب مفتوحا امام كل التفسيرات الممكنة للوجود ولو كانت خاطئة ومستحيلة».

* أما العقيدة الإسلامية فقد قدمت للإنسانية أمتن الأسس التي يمكن أن تقوم عليها حضارة، لذلك فقد صمدت تلك الحضارة قرونا طويلة، وقدمت، فوق كونها من أطول الحضارات عمراً، ارقى انموذج للحياة الإنسانية، ولم يكن تراجعها بسبب ضعف أساسها العقائدي أو ما تفرع عنه، وإنما لأسباب خارجة عنها ليس هنا محل بحثها.

- ويجب أن يلاحظ جيداً أن العقيدة الإسلامية رغم تراجع الحضارة الإسلامية ما زالت موجودة في نفوس المسلمين، وهذا مما يؤكد قوتها وصحتها، بل ان غالبية المسلمين يعتبرون أن سبب انتكاسهم وفقدان عزتهم وحضارتهم هو بعدهم عن تطبيق ما تقتضيه عقيدتهم.

- كما يجدر أن يلاحظ أن العقيدة الإسلامية قد وافقت الفطرة ليس فقط في تفسير الوجود وإدراك ما قبل الحياة وما بعدها، بل كذلك في جعل التشريع لله خالق الوجود، وذلك كما أن الفطرة الإنسانية تتطلب التدين والتقديس في مظاهر التعبد المحضة كذلك فإنها تتطلبه في معالجة قضايا الحياة المختلفة، حيث يظهر عجز الإنسان وتناقضه وتراجعه الكثير بين فترة واخرى وهو يحاول وضع تشريعات للحياة.

لذلك فقد كانت الحضارة الغربية بعقيدتها (فصل الدين عن الحياة) مخالفة لفطرة الإنسان من هذا الجانب كذلك.

- والحضارة الإسلامية التي تقتضي عقيدتها الإيمان بان بعد الحياة بعثا ونشوراً، وحسابا على أعمال الإنسان وتصرفاته في الحياة تؤمّن بذلك نقطتي مراقبة لازمتين لاستقامة السير حسب التشريعات المنبثقة عنها. فوق نقطة المراقبة الدنيوية المتمثلة بقوة السلطان هناك نقطة ثانية أكثر فاعلية وهي اتقاء الله والطمع بجنته والخوف من عذابه.

وهي بذلك تتفوق على الحضارة الغربية وعقيدتها التي لا تستطيع إلا أن تؤمن نقطة مراقبة واحدة وهي قوة السلطان. فكانت في هذا المجال كالذي يسير على قدم واحدة لا على قدمين ثابتتين، أما ما يقال عن تنمية احترام القانون فهي قدم اصطناعية سرعان ما تنهار إذا ما اصطدمت بقوة مع المصالح الشخصية (ازدهار المافيات).

- وفوق ذلك فإن اندفاع المسلم المؤمن بمفهوم عقيدة البعث والحساب نحو القيام بأعمال الخير، وتقديم التضحيات الجسيمة أعظم بالقطع من

اندفاع من يعتنقون مفاهيم الحضارة الغربية المادية، ولا ينكر عاقل أن الطاقة الروحية أعظم من أي قوة أخرى تقابلها في الوجود.

ـ والحضارة الإسلامية التي تقتضي عقيدتها الإيمان بقضاء الله حيث لا يستطيع الإنسان رَدّ ما وقع منه أو عليه جبراً عنه تجعل المؤمن دائم الطمأنينة، فلا تنشأ لديه العقد النفسية لأنه خلق طويلاً أو قصيراً، أسود البشرة أو أبيضها، ولا تذهب نفسه حسرات حين موت عزيز عليه، ولا يأكله الندم لفقدان فرصة أو رزق فاتت جبراً عنه، بل يندفع للأخذ بالأسباب من جديد محتسباً ما يلقاه من عنت عند الله تعالى مردداً: لا رادّ لقضائه.

ولخلو الحضارة الغربية من مثل هذا المفهوم العقائدي فإنك تجد الشرود والحسد والحقد والعقد النفسية تشل الكثيرين من معتنقي مفاهيمها، ومن لا يصدق فليزر العيادات النفسية في البلاد الغربية التي تكاد تفوق عدد العيادات الجسدية.

* وخلاصة القول بعد استعراض أسس الحضارات الثلاث وتحليلها من ناحية عقلية لمعرفة صدق انطباقها على الواقع المبحوث أو المراد علاجه يتبين مدى قوة أساس الحضارة الإسلامية وتفوقه. ويكفي للتدليل على قولنا هذا فوق ما تم استعراضه أنه على الرغم من مرور عشرات السنين على تراجع الحضارة الإسلامية عن قيادة العالم وعلى الرغم من سقوط آخر آثارها بهدم الخلافة الإسلامية والذي مرّ عليه أكثر من سبعين عاماً، وفوق كل ما مورس على المسلمين من تضليل وافساد وابعاد عن مفاهيم حضارتهم فما زالت العقيدة الإسلامية تحمل نفس قوة الدفع التي استطاعت بها أن تشحن حملة مشاعل الحضارة الإسلامية الأوائل بالحيوية والإقدام لخوض معترك الحياة؛ في الوقت الذي شاهدنا فيه كيف تخلى من تظاهروا بحماستهم للاشتراكية عنها وبالملايين لمجرد انفراط عقد المنظومة الاشتراكية العتيدة. وما انهيار ذلك البنيان الضخم المسمى بالحضارة الغربية، لتحققنا من وهن اساسه، ببعيد □

(يتبع)

تتمة ـ إتجاه الرأي العام في العالم الإسلامي

المتدينين، ولا بين الشباب والشيوخ فكلهم كان فصل الدين عن الدولة عندهم رأياً عاماً وعرفاً عاماً. مما يدل على أن هذا الرأي العام الإسلامي الذي بدأ بالتشكل منذ أواسط السبعينات ليس ناتجاً عن هذه المشاعر.

وهنا لا بد من اعادة التأكيد على أن عملية تغيير المجتمع الحالي الى مجتمع إسلامي تقتضي إحداث الانقلاب الشعوري الى جانب الانقلاب الفكري. والانقلابُ الشعوري يعني العمل لإيجاد مشاعر عند الأمة لأفكار الاسلام وأحكامه التي اعيدت إليها ثقتها بها، أي مشاعر للإسلام بوصفه عقيدة ينبثق عنها نظام يعالج جميع مشاكل الحياة. فالمطلوب إحداث احتراق في الشعور والفكر الذي يؤدي الى الانفجار. وهذه المشاعر المطلوب ايجادها ليست هي المشاعر الروحية الكهنوتية.

٤ ـ امّا مسألة وعي الأمة على جزئيات الاسلام فهذا غير ممكن التحقيق، وذلك لأن «الرأي العام» لا يتكون الا من النظرة الى «المصالح العامة» وليس من النظرة الى المصالح الخاصة أو الجزئية. ويتكون من هذا الوعي العام على الاسلام توحيد الأفكار والآراء والمعتقدات عند الأمة توحيداً جماعياً، على وجه يؤدي الى توحيد هدف الأمة بإقامة الخلافة وحمل الاسلام الى العالم بالدعوة والجهاد، وتوحيد عقيدتها بربطها في واقع الحياة ووقائعها المتجددة، وبعث الحيوية فيها، وتوحيد وجهة نظرها في الحياة بأن يجعل مقياسها الكفر والإيمان، والحلال والحرام.

ومما يؤكد ذلك أن الرأي العام المنبثق عن وعي عام على الاسلام كان قد تحقق وجوده في المدينة قبل هجرة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم اليها، على الرغم من أن وعي أهل المدينة على جزئيات الاسلام لم يكن متحققاً.

لذلك كان على حملة الدعوة الاسلامية على هذا الصعيد أن يستمروا في توعية جماهير المسلمين بأفكار الإسلام وأحكامه لزيادة الوعي العام عند الأمة على أحكام الاسلام وانطلاقه، على أن يكون ذلك عملاً من أعمال ربط هذه الأفكار والأحكام بالطاقة الحيوية التي تتحرك في مجموع الأمة، حتى يتشكل من هذا الربط مشاعر لهذه الأفكار والأحكام. تكون الدافع المباشر لتحرك الأمة بمجموعها للقيام بالأعمال التي تعيد الإسلام مطبقاً في واقع الحياة والمجتمع والدولة، وهذه هي قضية الاسلام المصيرية.

امّا ما هي كيفية احداث الانقلاب الشعوري الذي يؤدي الى تبني الدولة لقضية الاسلام المصيرية فسوف نتناولها في مقال آخر بإذن الله تعالى □

وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر

قال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهمْ وأنفسهمْ في سبيل الله، والذين آووْا ونصروا أولئك بعضهمْ أوْلياءُ بعض، والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكمْ منْ ولايتهم منْ شيء حتى يهاجروا، وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر، إلا على قوم بينكمْ وبينهم ميثاق. والله بما تعملون بصير﴾ [سورة الأنفال ٧٢]

نورد هذه الآية الكريمة بمناسبة الحرب التي يشنها الروس على مسلمي الشيشان الذين يطلبون النجدة من إخوانهم المسلمين. وهناك مسلمو البوسنة وفلسطين ولبنان وغيرها.

الصنف الأول من المسلمين هم المهاجرون من مكة إلى المدينة. ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾. والصنف الثاني من المسلمين هم الأنصار. ﴿الذين آووا ونصروا﴾. هذان الصنفان كانا يشكلان الدولة الإسلامية ودار الإسلام. وقد وصفتهم الاية الكريمة ﴿أولئك بعضهم أولياء بعض﴾. وهذه الولاية كانت اقوى من ولاية القرابة والرحم. والصنف الثالث من المسلمين هم الذين اسلموا ولكنهم ظلوا يقيمون في دار الكفر ﴿الذين امنوا ولم يهاجروا﴾. هؤلاء ليست الدولة الاسلامية مسؤولة عنهم فهم ليسوا من رعاياها. ﴿ما لكم من ولايتهمْ من شيء حتى يهاجروا﴾. ولكن هؤلاء لهم حق على الدولة الإسلامية، او على اخوانهم المسلمين حين لا تكون هناك دولة إسلامية. ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾ فنصرتهم واجبة ﴿إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ فإذا كان بين الدولة الإسلامية وبين خصومهم معاهدة فإن الدولة الإسلامية تفي بالمعاهدة. ويجوز للدولة الإسلامية ان تنقض المعاهدة وتنصر المسلمين إذا كانوا ضعفاء ومظلومين كما نقل القرطبي عن الإمام مالك وجميع العلماء.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ في تفسيره: (قوله تعالى: ﴿وإن استنصروكم في الدين﴾ يريد إن دعوا هؤلاء المؤمنون الذين لم يهاجروا من ارض الحرب عونكم بنفير او مال لاستنقاذهم فاعينوهم. فذلك فرض عليكم فلا تخذلوهم. إلا ان يستنصروكم على قوم كفار بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم عليهم، ولا تنقضوا العهد حتى تتم مدته. إلا ان يكونوا مستضعفين فإن الولاية معهم قائمة والنصرة لهم واجبة. حتى لا تبقى منا عين تطرف حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك، او نبذل جميع اموالنا حتى لا يبقى لاحد درهم. كذلك قال مالك وجميع العلماء).

الآن تقوم في البلاد الإسلامية حكومات كثيرة فهل هي مطالبة شرعا بنصرة الشيشان والبوسنة والاماكن الاخرى حيث يعتدي الكفار على المسلمين؟ بالتاكيد هذه الحكومات مطالبة. وإذا قصرت هذه الحكومات، كما هو حاصل الآن، وجب على المسلمين إرغام هذه الحكومات على نصرة المظلومين من إخوانهم المسلمين.

المسلمون امة واحدة من دون الناس كما كتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وثيقة المدينة: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم، إنهم امة واحدة من دون الناس... وإن سلْم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم».

ويقول رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يخونه، ولا يكْذبُهُ، ولا يخْذُلُهُ». وقال: «المسلم أخو المسلم، لا يظْلمُهُ ولا يُسْلمُهُ، ومن كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة، فرّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة». وقال: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» □

ندوة روما

اصدرت بعثة (الجبهة الاسلامية للانقاذ) في الخارج بيانا اشار إلى تلقيها رسالة من لشخين مدني وبلحاج. وقالت البعثة ان الرسالة تحمل تاييدهما الكامل للقاء روما واقترحا نقاطا عملية تشكل انطلاقة جدية لحل حقيقي وعادل

هذا وقد رحبت ادارة كلينتون بالاجتماع الذي عقد في روما لاحزاب المعارضة الجزائرية وقالت الخارجية تويد في جهود من اجل الحوار والتوصل إلى حل سلمي للازمة الجزائرية □

الجنود الروس يتصرفون كصرف الجزائريين

رئيس بلدية موسكو بوري لوجكوف وجه انتقادا شديد اللهجة إلى المسؤولين عن العمليات العسكرية في الشيشان. وقال إن الجنود الروس اخطاوا في تنفيذ ما عهد به اليهم ويتصرفون تصرف الجزائريين. وقال: إننا سننتصر ولكن النصر سيكون هزيمة بسبب الخسائر الكبيرة غير المبررة.

اما رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب الروسي فقد قال: ان روسيا كانت قبل المرحلة الشيوعية وخلالها بلدا قويا غير محترم. والآن اصبحت ضعيفة واقل احتراما □

تحويل الصراع في مصر

كان الصراع بين الناس والنظام فحوله النظام بين الناس مع بعضهم. وبعد اعتقال عادل حسين (الامين العام لحزب العمل) حليف حركة الاخوان. والتي اثارت ضجة كبرى في مصر. بدا للراي العام وكان الصراع بين (معتدلين ومتطرفين) او بين دعاة العلمنة ودعاة تطبيق الإسلام. وقامت السلطات هناك بتحركات تضلل الراي العام. ومنها دفع العلمانيين واقلامهم وصحفهم للتصدي للموجة الاسلامية ومهاجمة المسلمين. الأمر الذي يثير حفيظة المسلمين للتصدي للعلمانيين وتكون الدولة وبسيط إصلاح ذات البين □

لماذا يقتتل الأكراد؟

دخل المسلمون الاكراد في العراق في اللعبة الدولية للصراع على النفوذ من زمن بعيد. لكنهم الآن اكثر انخراطا في هذا الصراع حينما تحول شكل الصراع من حرب بينهم جميعا وبين الاخرين. إلى حرب بين بعضهم عبر اشتباكات في مدن السليمانية واربيل وغيرها □

القذافي يهاجم الأنظمة وهو منها

قال القذافي: انني اؤكد ان ما يقدم عليه بعض الحكام العرب الآن امر يجعلنا موضع سخرية واحتقار امام شعوب العالم وحكوماته. وان استضافة العدو ورعاية مصالحه وتعيين من يرعاها جعل من السياسة العربية مسخرة وجعل العرب في نظر الشعوب الاخرى ( ) العدو نفسه احتقرنا احتقارا شديدا. واستغرب هذا الخنوع. وما لم يوضع حد لهذه السياسات غير المسؤولة المخزية للامة والمحقرة لها في نظر عدوها ونظر العالم. وما لم تتخذ اجراءات حاسمة من قبل الجامعة العربية تجاه دول مثل الاردن وسلطنة عمان فإن الامر سينقلب على الحكومات العربية. ومثلما اصبح الحكام يتصرفون تصرفات غير مسؤولة وغير معقولة فلم يعد هناك مانع في ان يتصرف المواطن العادي تصرفات غير مسؤولة وغير معقوله تجاه الانظمة العربية الرسمية. وانبهكم بان العاقبة ستكون وخيمة □

ولي عهد دبي يدعو الكويت إلى مصالحة العراق

دعا الشيخ محمد بن راشد المكتوم الكويت إلى مد جسور المحبة والمودة والتواصل مع الشعب العراقي. وقال: الآن شعب العراق يعاني من الحصار والجوع والمرض فلماذا لا نقف إلى جانبه ونساعده في معاناته. وهل يمكن للعربي ان يتخلى او يتنكر لاخيه العربي وانتقد سرعة التعامل مع اليهود قائلا: إن العربي منذ طفولته يعرف ان اليهود هم اعداء العرب سلبوا حقوقهم. وقتلوا شعبا عربيا وشردوه. فكيف نتقبل بهذه السهولة والسرعة التعامل مع اسرائيل؟ □

الاستيطان مستمر في الضفة الغربية

بعد الاحتجاجات على مصادرة الاراضي في الخضيرة قامت اسرائيل بتغيير المكان الذي كانت ستصادر إلى مكان اخر قريب منه وضربت اسرائيل بكل الاحتجاجات والاستنكارات عرض الحائط. ولم يتخذ اقطاب الحكم الذاتي اية خطوة تزعج اليهود □

بطرس غالي مستعد لمحاربة ما يسمى (بالأصولية)

اعلن بطرس غالي في مؤتمر صحفي انه مستعد للبحث في موضوع (الاصولية) كمصدر ازمة محتملة في الشرق الاوسط اذا طلبت ذلك الدول الاعضاء في المنظمة الدولية. جاء ذلك في معرض رده على سؤال حول الاوضاع في الجزائر وفي مناطق الحكم الذاتي □

قمة الإسكندرية

في نهاية سنة ١٩٩٤ عقدت قمة ثلاثية في الاسكندرية بين الرئيسين اسد ومبارك والملك فهد. وقد وصفت اوساط رسمية سورية القمة بانها اهم حدث في المنطقة منذ خمسين سنة. وقد شعر الملك حسين بالضيق منها كما ابدت اسرائيل اسفها وتخوفها. وقد حضرها عصمت عبد المجيد الأمين العام للجامعة العربية. وقد تم تكليفه ببذل مساع للمصالحة بين الدول العربية. وبدا فعلاً جولته.

الملاحظ ان المقصود من المصالحات العربية هو إعادة العراق إلى الصف العربي. وعلى رغم ان اميركا شددت في مجلس الامن على إبقاء الحظر على العراق فيبدو ان اميركا تتجه إلى استمالة العراق ورفع الحظر عنه لتتخذ منه مرة

اخرى اداة ضغط على دول الخليج التي صارت تسارع في السير بالمشروع الانجليزي.

علما ان اسرائيل والملك حسين اقاما نواة لمشروع انجليزي يسعمل لخلط الأوراق التي ترتبها اميركا للمنطقة، لاخذ المنطقة من عملاء اميركا.

ويبدو ان هناك الآن تنافسا بين عملاء اميركا وعملاء الانجليز على اخذ العراق. فاذا نجح عبد المجيد بالمصارحة والمصالحة وتم كسب العراق لجانب عملاء اميركا فإن المشروع الانجليزي بقيادة الملك حسين واسرائيل لن يكتب له النجاح □

رابح كبير والعلمانية

رابح كبير رئيس الهيئة التنفيذية في الجبهة الاسلامية للانقاذ والمقيم في المانيا، قال في تصريح للتلفزيون الالماني في ٩٥/١/١٢ بان جبهة الانقاذ تقبل في حال وصولها إلى السلطة بالتعددية ووجود الأحزاب العلمانية □

واشنطن تدين موسكو بشأن الشيشان

قالت الناطقة باسم الخارجية الأميركية: ان روسيا انتهكت وثيقتي فيينا وبودابست لمبادىء السلوك على رغم أنها وقعتهما كليهما في ١٩٩٤. وكان بيتر تارنوف نائب وزير خارجية أميركا قال في ٩٥/١/١١ انه كان على موسكو ان تبلّغ مسبقا «عن جوانب محددة لنشاطاتها العسكرية في الشيشان».

ونحن نفهم ان أميركا والدول الغربية مرتاحة لتنامي المشاكل داخل روسيا، وتشجع الانشقاقات، والأرجح انها ستشجع جمهوريات اخرى في القوقاز وغيره على الاستقلال □

تعزيز الشرطة الفلسطينية

إسرائيل وافقت على تعزيز الشرطة الفلسطينية بقصد أن تصبح ذات فعالية بضرب الشعب الفلسطيني. أما مؤتمر وزراء الداخلية العرب (في تونس) فوافق على تعزيزها من أجل تقوية سلطة منظمة التحرير كي لا يتمكن الملك حسين من اخذ الحكم الذاتي في الضفة من المنظمة. والمفهوم ان اسرائيل اتفقت مع الملك على نقل الحكم الذاتي في الضفة اليه، وحصر سلطة المنظمة في غزة فقط □

رابين يهدد بالحرب

في ٩٥/١/١١ اطلق رابين رئيس حكومة اسرائيل تهديدا معلنا عن استعداد بلاده لخوض حرب شاملة في المدى الطويل او المتوسط. وهذا التهديد ليس موجها ضد سوريا وحدها بل يشمل غيرها ايضا لانه يقول «حرب شاملة». وهذا يدل على ان المفاوضات على المسار السوري ـ الاسرائيلي متوقفة رغم اجتماع رئيسي الأركان السوري والاسرائيلي. ويدل على ان رابين في مأزق. وهو يطلق هذا التهديد لتسمعه اميركا من أجل ان تسحب دعمها لقمة الاسكندرية ٩٤/١٢/٢٩ □

إسرائيل والسوق الآسيوية

في تقرير نشرته جريدة «الحياة» في ٩٥/١/١٣، ان الصادرات الاسرائيلية الى آسيا ارتفعت بنسبة الثلث ما بين الشهور التسعة الأولى من ١٩٩٣ والفترة نفسها في ١٩٩٤، اي من ١.٨ بليون دولار الى ٢.٣ بليون دولار. النتيجة هي ان آسيا تستوعب ١٢ في المئة من صادرات اسرائيل، وهي نسبة يتوقع لها ان تنمو بشكل مهم خلال السنة الجارية.

ويعتبر التقرير ان هذا يقدم برهانا على ما يسمى «مردود السلام» بالنسبة الى اسرائيل، بفعل الاتفاق مع الفلسطينيين الذي قضى على ما تبقى من المقاطعة السياسية لها من عدد من الدول الآسيوية المهمة، خصوصا الهند واليابان □

من منهج الترابي

نشرت مجلة «الحوادث» في ٩٤/١٢/٢٣ مقتطفات من وثيقة للدكتور حسن الترابي في «المؤتمر الشعبي العربي الاسلامي»، ومما جاء فيها:

١ ـ تراثنا الثقافي المتميز ايضا مما ينبغي ان نحفظ اصالته وان نبني عليه ـ تفاعلا مع الآخرين وتجديدا له وتجاوزا له في بعض حين.

٢ ـ كان لا بد من ان نطلب الشورى لنحكم عقائد الناس فيهم ثم نحكم بعد ذلك إرادة الناس فيهم. ولا تناقض بين الديمقراطية الليبرالية والشورى. فالديمقراطية الليبرالية بالنسبة لكثير منا هي حاجة المرحلة.

٣ ـ انا ادعو التنظيمات القومية والاسلامية والوطنية ـ تنظيمات المثقفين الصفوية ـ ان تؤصل شعبيتها وان تنفتح على الجماهير حتى تقيم المجتمع الذي يستغني عن حكومته.

٤ ـ وأولى مقتضيات هذه الوحدة كسر الحدود بين الحركات الاسلامية والحركات الوطنية والحركات القومية.

٥ ـ ينبغي ان يراجع كل منا أمره وان نبدأ بالنقد الذاتي وان نحاسب انفسنا. ظروفنا تغيرت... وانا اول من يدعو نفسه إلى ان اتجاوز شأني السابق. انني ابحث اليوم عن اهداف جديدة في هذا الواقع الجديد.

٦ ـ إن كل مذاهبنا للنهضة لا معنى لها بغير تحرر.

٧ ـ لا بد من ان نتفاعل مع العالم اولاً بالحوار، ولنبدأ بكلمة السلام والحوار. إن اتصالاتي كلها في الاونة الأخيرة تؤكد ان أهل الغرب اليوم... يريدون ان ينقلبوا علينا بعد العنف باللطف ليكسبوا الشعوب التي خسروها. وسيقوم حوار أكبر من الحوار الديني بين المسيحية والاسلام الذي لا يكاد يسمع به أحد. سيقوم حوار سياسي كثيف. ولا بد من ان نستعد لهذا الحوار. ولا جدوى من الحوار إلا اذا كنا نريد ان نعطي شيئا اصيلا وجديدا. وان نقترح شيئا في هذا العالم. لا بد ان نتفاعل مع الغرب لأن العالم اليوم لا يعرف غربا وشرقا □

تحريف الإسلام باسم التجديد والعصرنة

بقلم: محمود عبد الكريم حسن

تحدثنا في العدد رقم (٩١) عن مواجهة امريكا للاسلام بانها ذات ثلاث شعب: الأولى هي استمرار سياستها السابقة وهي الغزو الفكري واحلال أفكار الكفر مكان الأفكار والمفاهيم الاسلامية. والثانية هي تشويه الاسلام وتاريخه، ووصم حملته بالارهاب، والتنكيل بهم. والثالثة هي تفريغ الاسلام من مضمونه، واحلال المفاهيم الغربية مكان المفاهيم الاسلامية من خلال إلقاء وصف الاسلام على مفاهيم الكفر، وذلك ما يؤدي بالمجتمعات الاسلامية الى قبول الكفر وشرائعه تحت عناوين اسلامية. ويقوم على تنفيذ هذا الخط الثالث علماء مسلمون متاثرون بالثقافة الغربية ومفتونون بها، ويعتمدون لأجل غايتهم طروحات عدة منها: الدعوة الى التجديد: تجديد الفقه أو اصول الفقه: النظر الى مقاصد الشريعة أكثر من الشريعة نفسها.

وكلمة التجديد في الدين قد يريد منها مطلقها ما هو محمودٌ مطلوب شرعا. وقد يريد منها ما هو مذموم مردود. فما هو المراد منها ومن اطلاقها والترويج لها اليوم؟

وأحب أن انقل في هذا المقام كلمة للأستاذ أبي الأعلى المودودي - رحمه الله - تغنينا عن الانشاء يقول في رسالة له بعنوان: (موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه): «التجديد في حقيقته عبارة عن تطهير الإسلام من أدناس الجاهلية، وجلاء ديباجته حتى يشرق كالشمس ليس دونها غمام» ويقول: «قد ألف الناس في زماننا أن لا يفرقوا بين التجدد والتجديد. فيسمّون، لسذاجتهم، كل متجدد من بينهم مجدداً، ظناً منهم أن كل من جاء بطريق جديد ثم أمضاه بشيء من القوة والعزم فهو المجدِّد. ويجودون بهذا اللقب خصوصاً على الذي يبادر إلى اصلاح حال الأمة المسلمة من الجهة المادية إذا وجدها إلى التقهقر، فيخرج بمسالمته للجاهلية الحاكمة في زمانه خلطاً جديداً من الإسلام والجاهلية، ويصبغ الأمة بصبغ الجاهلية الكامل الذي لا يبقى من خصائصها إلا الإسم. والحال أن امثال هذا لا يكونون مجددين بل متجددين، ولا تكون مهمتهم تجديد الدين بل التجدُّد في الدين، وشتان ما بينهما. وذلك أن التجديد لا يكون عبارة عن التماس الوسائل لمسالمة الجاهلية، ولا هو عبارة عن إعمال خلط جديد من الإسلام والجاهلية، بل التجديد في حقيقته هو تنقية الإسلام من كل جزء من اجزاء الجاهلية، ثم العمل على إحيائه خالصاً محضاً على قدر الإمكان. ومن هنا يكون المجدد أبعد ما يكون عن مصالحة الجاهلية، ولا يكاد يصبر على أن يرى أثراً من آثارها في اي جزء من الإسلام مهما كان تافها» ا.هـ.

لا مانع من التجديد بالمعنى الذي يريده الاستاذ المودودي، أو بمعنى فتح باب الاجتهاد لاهله واعداد من يتاهل له، واستنباط أحكام شرعية للوقائع المستجدة في الحياة، لا مانع من التجديد بمعنى اعمال العقل في فهم الإسلام ونصوصه، وفي تفهيمه للأمة وتحميلها اياه، وجعله وافكاره ومفاهيمه أساس التفكير ومقياس الأفكار. لا مانع من التجديد بمعنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واقامة الدولة الإسلامية التي تطبق الإسلام وتحمله نوراً وهدىً ورحمةً للبشرية وشهادةً عليها.

والتجديد بالمعنى الذي سماه المودودي - رحمه الله - تجدداً مذموم ومرفوض شرعاً فهو بمعنى تغيير وتعديل أو تطوير الإسلام لأجل التقارب مع افكار ومفاهيم الحضارة الغربية الكافرة. مردودٌ ومذموم التجديد في الدين بمعنى التنازل عن أي شيء من ديننا لصالح اي حضارة أو فكر أو مذهب. بحجة ان العالم أصبح قرية صغيرة. نعم نرفض تجديداً معناه ترك الوحي إلى الهوى وشرع الطقل والمصلحة. إنّ المراد بالتجديد الذي يروّج له اليوم ويطرحه ذوو مظهر اسلامي فهو الانحراف بالمسلمين عن طريق تفريغ الإسلام من احكامه ومفاهيمه. فيُتذرَّعُ بكلمة التجديد لتبرير الانحراف وتبنّي التوجه السياسي والفكري الغربي أو الأمريكي الكافر.

وسأتناول هذا المعنى من خلال كتابين، ناهيك عن الأقوال والتصريحات الكثيرة المبثوثة هنا وهناك في صحف ومجلات وكتب عديدة لكثيرين من رواد المنهج التبريري.

الكتاب الأول: (تجديد أصول الفقه الإسلامي) للدكتور حسن الترابي.

الكتاب الثاني: (أولويات الحركة الإسلامية)

للدكتور يوسف القرضاوي.

في الكتاب الأول يبين لنا الدكتور الترابي حاجتنا لفقه جديد فلا يكتفي ببناء هذه الحاجة على وجود مستجدات في الحياة، وعلى وجود تطور مدني يقتضي نشوء علاقات جديدة لا بد لها من معالجات شرعية، وانما يدعي ان ما كان حقاً قبل الف عام لم يعد حقاً اليوم، أو ما كان محرماً قبل الف عام لم يعد مقبولاً أن يظل محرماً اليوم في ظل تطور هذا العصر. ويزيد الترابي ان الامكانات في عصرنا تقتضي انقلاب الاحكام، يقول في الصفحة ٨: «ذلك ان قطاعات واسعة من الحياة قد نشأت من جراء التطور المادي وهي تطرح قضايا جديدة تماماً في طبيعتها لم يتطرق اليها الفقه التقليدي ولان علاقات الحياة الاجتماعية واوضاعها تبدلت تماماً ولم تعد بعض صور الاحكام التي كانت تمثل الحق في معيار الدين منذ الف عام تحقق مقتضى الدين اليوم ولا توافي المقاصد التي يتوخاها لان الامكانات قد تبدلت واسباب الحياة قد تطورت والنتائج التي تترتب عن امضاء حكم معين بصورته قد انقلبت انقلاباً تاماً».

هذا النص يشكل مدخلاً لفهم تجديد الترابي. إنه ليس جلاء صورة الدين والمحافظة عليه، وانما هو تعديل وتغيير احكامه.

ثم يبين لنا الترابي حاجتنا لمنهج اصولي جديد فيقول صفحة ١٢: «وفي يومنا هذا اصبحت الحاجة إلى المنهج الاصولي الذي ينبغي ان تؤسس عليه النهضة الإسلامية حاجة ملحة، لكن تتعقد علينا المسالة بكون علم الاصول التقليدي الذي نلتمس فيه الهداية لم يعد مناسباً للوفاء بحاجتنا المعاصرة حق الوفاء لانه مطبوع باثر الظروف التاريخية التي نشا فيها بل بطبيعة القضايا الفقهية التي كان يتوجه اليها البحث الفقهي».

إذاً، نحن أمام (مجدِّد) يعتبر فقهنا تقليدياً يجب تغييره، ثم هو جريء يرى أصول الفقه أيضاً تقليدية وعاجزة عن الوفاء بحاجتنا. فهل هي بحاجة إلى اضافات أم إلى بعض التوضيحات؟ إنها عند هذا المجدد بحاجة إلى نسف كما سيظهر، وهي كما يزعم متاثرة بمنطق الاغريق وتعقيداته. وما هذا القول منه الا لخلق المبرر في الاذهان لتغيير الشريعة، ولاعداد الناس لطروحات مثيرة في مناقضتها للنصوص، المبرر لقبول التاثر بالفكر الغربي عند الاستنباط، بل لجعل القوانين الغربية اسلامية كما سنرى.

ثم يرى هذا المجدد ان التجديد يجب أن يكون في الأصول، وسيطال بشكل اساسي أحكام العلاقات السياسية والاقتصادية، وقد يطال أيضاً أحكام القضايا الخاصة كالعبادات وعلاقات الأسرة وغيرها. وهي الميادين التي لم يسبق أن ادعى مسلم ان نصوص الشرع فيها قاصرة. يقول صفحة ١٩: «واكثر فقهنا من ثم لا يتجه إلى الاجتهاد في العبادات الشعائرية والأحوال الشخصية فتلك أمور يتوافر فيها فقه كثير ويحفظها المسلمون كثيراً. أما قضايا الحكم والاقتصاد وقضايا العلاقات الخارجية مثلاً فهي معطلة لديهم ومغفول عنها». ويقول في الصفحة ٢٠: «ونحن أشد حاجة لنظرة جديدة في احكام الطلاق والزواج نستفيد فيها من العلوم الاجتماعية المعاصرة ونبني على فقهنا الموروث وننظر في الكتاب والسنة مزودين بكل حاجات عصرنا ووسائله وعلومه وبكل التجارب الفقهية الإسلامية والمقارنة لعلنا نجد هدياً جديداً لما يقتضي شرع الله في سياق واقعنا المعين». وهنا اوجه القارىء لقراءة النص اعلاه بتأنٍّ. فكلما انعمنا النظر فيه كلما ازددنا ريبةً في مراد الرجل. فهو بإزاء العلوم الاجتماعية المعاصرة وضع كلمة نستفيد منها. وبإزاء القران والسنة وضع كلمة ننظر فيهما. لم يقل: نحتكم اليهما، او نأخذ منهما، وانما: ننظر فيهما. ومن خلال هذا النص يريد الترابي ان يخرج بهدي جديد، حتى فيما يتعلق بشؤون الزواج والطلاق، هدي ينبع من المزج بين شرع القران والسنة والشرائع الجاهلية. حيث يدعي ان حاجتنا لهذا الامر شديدة. ثم يبين لنا ان تجديده يهدف إلى هدي جديد لا يكتفي بهدي القران والسنة، لأنهما لا يكفيان لحاجات عصرنا ووسائله. فهو يريد هدياً (ديناً) جديداً يستفيد من شتى التجارب الفقهية الاسلامية والمقارنة. إن الله يعلم ما في قلب صاحب هذه الدعوة، ويعلم عن رضى من يبحث، فيقول له: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، قل إن هدى الله هو الهدى﴾ ويقول: ﴿قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين﴾ ويقول: ﴿الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء، ومن يُضلل الله فما له من هاد﴾. ويقول: ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم، قل إن الهدى هدى الله﴾ صدق الله العظيم.

الم يقرأ القران هذا الذي يبحث عن هدي جديد عبر خليط من شريعة الإسلام مع الشرائع الجاهلية؟ وهنا نتساءل مع القارىء ونريد ان يحاور الترابي وتلامذته الذين يروّنه مجدداً وأستاذاً لجيل هم منه، والذين يدعون لفتح أبواب

الحوار مع اليهود والنصارى (المؤمنين) بزعمهم، ومع العلمانيين ومع الغرب الذي يفخرون انهم نلقوا ثقافتهم منه، ان نحاورهم ونسالهم، هل هذا الذي تدعون اليه اسلام؟ هل انتم دعاة اسلام، أم علمانيون؟ وأمام هذه الدعوة، وغلوها في الجراة على دين الله فسنشعر بحاجة لطمانة نفوسنا ونفوس القراء بايات من كتاب الله تعالى: ﴿ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين * وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون * حتى إذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بُعدَ المشرقين فبئس القرين * ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون * أفأنت تسمعُ الصمَّ أو تهدي العُمْيَ ومن كان في ضلال مبين * فإما نذهبنّ بك فإنا منهم منتقمون * أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون * فاستمسك بالذي أوحي اليك انك على صراط مستقيم﴾

نعود إلى الترابي الذي يريد توسيع الأصول، كي يتمكن من توسيع الشريعة، كي يتمكن بالتالي من جعل مفاهيم ونظم الحضارة الغربية الكافرة شرعية اسلامية. وبما ان توجهه هذا قد يثير في وجهه حملة شديدة، فهو يتدارك الامر. فيقرر ان الاستفادة من النظم الاجتماعية المعاصرة لا تخالف الشرع بل هي سمة فقهنا (الموروث) بزعمه يقول في الصفحة ٢٢ تحت عنوان: (نحو أصول واسعة لفقه اجتهادي) «وفي هذا المجال يلزم الرجوع إلى النصوص بقواعد التفسير الاصولية، ولكن ذلك لا يشفي إلاّ قليلاً لقلة النصوص. ويلزمنا ان نطور طرائق الفقه الاجتهادي التي يتسع فيها النظر بناء على النص المحدود. واذا لجانا هنا للقياس لتعدية النصوص وتوسيع مداها فما ينبغي ان يكون ذلك هو القياس بمعاييره التقليدية. فالقياس التقليدي اغلبه لا يستوعب حاجتنا بما غشيه من التضييق انفعالاً بمعايير المنطق الصوري التي وردت على المسلمين مع الغزو الثقافي الأول الذي تاثر به المسلمون تاثراً لا يضارعه الا تاثرنا اليوم بانماط الفكر الحديث، ولعل تاثر الفكر الاسلامي الحديث المخلص ولا أقول الخالص بالفكر الغربي الآن اقل من تاثر الفكر الإسلامي المخلص قديماً بالفكر الغربي القديم».

هكذا بكل بساطة وسهولة، ولطف ويسر يريد الترابي ان تدفن حضارتنا وفقهنا وديننا ليفيض الإسلام إلى الأبد. أمريكا وفرنسا وبريطانيا والغرب كله يعجز عن الوفاء بحق هذا الرجل مهما تمسكوا به واثنوا عليه. الطروحات (الاسلامية) المتاثرة بالفكر الغربي طروحات مخلصة بنظره. والفقه الاسلامي والمفاهيم الاسلامية متاثرة بالاغريق ومبنية على اسس يونانية بزعمه. وهو لا يذكر هذه الخرافة لينفيها أو ليشن حمله عليها. وانما يقررها بسلاسة لينفعل ذهن قارئه بها ولكي يُسْقِطَ في يده، فنصوص شريعتنا محدودة وغير وافية، وهي تستفيد من الحضارات الاخرى. وهذا شانها منذ بدئها. فلا ضير في ان نسلّم اليوم بالاستفادة من الحضارة الغربية، أو أي حضارة اخرى.

وشريعتنا ونصوص الاسلام لا تفي ولاتصلح ولا تجدي لحصول نهضتنا الفقهية عند هذا (المجدد) أو (المفكر المعاصر) ولذلك فهو يطرح العلوم المعاصرة، والقوانين الاجتماعية المعاصرة، والفكر والفقه المعاصر. إسلامياً وغير اسلامي. مصدراً للتشريع في عملية التجديد. ولكي يبقي على وصف الاسلام في طرحه الكفر فهو يسمي هذا المصدر الوضعي: القياس الواسع كما سنرى. وفي الواقع لا علاقة له بالقياس. يقول تحت عنوان: (القياس المحدود) في الصفحة ٢٣ «ومثل هذا القياس المحدود ربما يصلح استكمالاً للاصول التفسيرية في تبين احكام النكاح والاداب والشعائر. لكن المجالات الواسعة من الدين لا يكاد يجدي فيها الا القياس الفطري الحر من تلك الشرائط المعقدة التي وضعها له متاطقة الاغريق واقتبسها الفقهاء الدين عاشوا مرحلة ولع بالتعقيد الفني وولع الفقهاء بالضبط في الاحكام...» وهكذا يمضي الترابي في نظرته إلى فقهنا الذي تركه لنا السلف. الفقه المأخوذ من القرآن والسنة بقواعد فهم واستنباط شرعية نقيّة، يصبح هذا الفقه حسب الترابي تراثاً اغريقياً. اقتبسه مراهقون مولعون بالتعقيد والضبط. وهو ينعي على قيام فقهائنا بالضبط والتدقيق والالتزام بالنصوص الشرعية في استنباط الاحكام. ويسمي ذلك تعقيداً فنياً مقتبساً من الفلسفة اليونانية. ماذا يريد الترابي اذا في تجديده؟ إنه يريد كما يقول في النص اعلاه: «القياس الحر من تلك الشرائط المعقدة». وإذا كان الفقه الإسلامي عند الترابي غير واف وغير مناسب للتطور الحاصل، والنصوص محدودة يجب توسيع مداها. فما هي مصادر الفقه الجديد الذي يريده هذا الرجل؟ إنه يقول بمصدرين جديدين لا علاقة لهما بالإسلام، وانما يطلق عليها اسمين قد يوحيان بعلاقة ما وهما: القياس الواسع والاستصحاب الواسع.

أما الأول فهو يعني رفض الأصول التفسيرية للنصوص. أي رفض أخذ الاحكام الجزئية او الفرعية من النصوص لانها غير وافية وغير مناسبة

ويرفض الانضباط بالنصوص والقواعد والضوابط الشرعية لاستنباط الأحكام لأن ذلك تعقيد. وهذا قد سلف الحديث عنه. ويقول صفحة ٢١: «فالأصول التي تناسب هنا ليست هي الأصول التفسيرية وحدها، وأعني بها قواعد تفسير النصوص، وذلك نظراً لقلة النصوص التي تتعلق بنظام الحياة العامة». والقياس المطلوب للتجديد هو القياس الواسع وهو القياس الفطري الحر من الشرائط المعقدة التي وضعها فلاسفة الاغريق. وهذا يقتضي ان لا نلتفت إلى دلالة النص الواحد أو آحاد النصوص او إلى وقائعها لنأخذ منها الحكم او الأحكام التي تفيدها. أي ان لا نأخذ الأحكام الفرعية من النصوص. وإنما ان نعمد إلى طائفة من النصوص ونجرد كلا منها من دلالتها الخاصة، ثم نأخذ من جملة النصوص مقصداً معيناً، وعند ارادتنا استنباط وتقنين احكام الفقه الدستوري او غيرها نشرع بعقولنا ما نراه مناسباً لواقعنا متوخين ذلك المقصد. وهذه دعوة إلى وضع تشريع بشري يتناسب مع التطور المادي العمراني والاجتماعي الحاصل في يومنا، الضابط الوحيد فيه هو المقصد او المصلحة.يقول صفحة ٢٤: «وربما يجدينا أيضاً ان نتسع في القياس على الجزئيات لنعتبر الطائفة من النصوص ونستنبط من جملتها مقصداً معيناً من مقاصد الدين أو مصلحة معينة من مصالحه ثم نتوخى ذلك المقصد حيثما كان في الظروف والحادثات الجدد». وهذا ترك لشريعة الاسلام إلى الهوى مع الإبقاء على اسم الاسلام. ولو طبقنا هذا النهج في ميدان العقوبات مثلاً، لوجب علينا في عصرنا ان لا نأخذ بحكم قطع السارق وجلد الزاني أو رجمه وقتل المرتد وغيرها من العقوبات، لأن هذه أحكام جزئية تستنبط من آحاد النصوص حسب قواعد التفسير المرفوضة عند الترابي. وإنما علينا ان نأخذ طائفة النصوص المتعلقة بالعقوبات لنستنبط منها مقصداً أو مصلحة. وجليٌّ ان هذه النصوص مجتمعة ليس لها أي دلالة جزئية. وإنما يُزْعَمُ انها تدل على مصلحة، هي وجوب القصاص أو حفظ الحريات العامة او ما شاكل. وعند ارادتنا التشريع لحادثات ووقائع المجتمع في ظروفنا المعاصرة، فلن نلتزم الا بتحقيق المقصد العام، اما الطريق إلى ذلك فنختاره بعقولنا، فنختار مثلاً العقوبات التي نراها مناسبة، من غير قيد أو (عقدة) الالتزام بأحكام القطع او الجلد أو الرجم او دلالة النصوص بحسب الأصول التفسيرية التي يراها الترابي غير مناسبة كما يقول في الصفحة ٢٠: «أما جوانب الحياة العامة، فالحاجة فيها للاجتهاد واسعة جداً ونحتاج في نشاطنا الفقهي لأن نركز تركيزاً واسعاً على تلك الجوانب وعلى القواعد الاصولية التي تناسبها. فالاصول التي تناسب هنا ليست هي الاصول التفسيرية وحدها واعني بها قواعد تفسير النصوص».

ويوضح لنا الترابي بعض ما يريده بجلاء، فهو يريد تحليل الحرام او توسيع دائرة الحلال حتى تشمل كثيراً مما هو محرم. فبدل ان يكون التدين هو الالتزام بالاحكام المأخوذة من النصوص، يصبح التدين هو الالتزام بالمقصد العام او بما يحقق المصلحة، ولو أغفلنا النصوص، ويصبح كثير من صور تعدي حدود الله تديناً. يقول صفحة ٢٥: «وبذلك التصور لمصالح الدين نهتدي إلى تنظيم حياتنا بما يوافق الدين. بل يتاح لنا ـ ملتزمين بتلك المقاصد ـ أن نوسع صور التدين اضعافاً مضاعفة».

فإذا أضفنا إلى هذا الطرح التجديدي التبريري مناداتهم بالديمقراطية وبالزامية رأي الأغلبية داخل البرلمانات التي يسمونها مجالس الشورى، فلن نجد فارقاً البتة بين هذا الطرح وطرح العلمانيين اللهم إلا ان الأخيرين اسفروا عن حقيقة مرادهم. وهؤلاء، مدعو التجديد، لم يفعلوا.

أما المصدر الثاني للتجديد عند الترابي وهو الاستصحاب الواسع،كما يسميه، فهو دعوة إلى أخذ موازين ومقاييس الحسن والقبح والعدل والظلم من الأفكار الغربية المعاصرة والسائدة. والترابي هنا يحاول أن يُفهمنا أن تطبيق الإسلام لا يعني تغيير هذه النظم السائدة، إذ إن الإسلام لا يضع أسساً جديدة للمجتمع وعلاقاته، وإنما يوافق على النظم الموجودة، ويتدخل فقط ليصلح ما طاله الاعوجاج. يقول تحت عنوان: الاستصحاب الواسع صفحة ٢٦: «ومغزى الاستصحاب هو أن الدين لم ينزل بتاسيس حياة كلها جديد والغاء الحياة القائمة قبل الإسلام بأسرها» ثم يقول: «بل كان المبدأ المعتمد أن ما تعارف عليه الناس مقبول وإنما ينزل الشرع ويتدخل ليصلح ما أعوجّ من أمرهم». ثم يقول: «وحينما يدعو القرآن للحكم بالعدل والقسط فهو مراعاة القيم العدلية التي عرفها الإنسان واستشعرها الوجدان المخلص مقرونة مع التصويبات والتقويمات التي ترد عليها من تلقاء الشريعة المنزلة. وهكذا يقال في القسط والخير والظلم والإحسان والإساءة بل في نظم الأسرة وفي الشعائر». وكأن الترابي متفائل ان منهجه هذا سيعم ويسود حتى إذا ما طبق على الامة الإسلامية في ميدان الحياة العامة، فسيعمد إلى تطبيقه على

نظام الأسرة والعبادات كي يعبث بكل ذلك وبغيره أو بلغيه.

نحن إذا أمام منهج للتجديد يريد منا أن نلغي الفقه الموروث، وأن نوسع الدين لتصبح نظم الحياة القائمة ومقاييس الحسن والقبح المنبثقة عن عقائد الكفر شرعية إسلامية. وإذا كان هناك من تدخل للإسلام فهو فقط للتصحيح والتصويب، فهو منهج لتفريغ الإسلام من مضمونه، وإلى التشريع الوضعي. ألا ترى أن القائمين على النظم الوضعية كلها ـ شيوعية أو رأسمالية ـ يدعون إلى التصحيح والتصويب في أنظمتهم، في التشريع وفي التطبيق. والإسلام أيضاً يأمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالنصيحة وبالاصلاح وبالتصويب، وبعدم الحيد عن الشريعة. فإذا كانت الدعوة إلى التجديد دعوة إلى المحافظة على معايير الحسن والقبح والعدل والظلم السائدة مع عدم التدخل إلا للتصويب والتصحيح، فهي دعوة إلى التجويف الكامل للإسلام.

نحن نفهم أن الإسلام قد عالج كافة شؤون الحياة، وأمر بأشياء ونهى عن أشياء. فما أمر به فهو الحق والعدل وما نهى عنه فهو الظلم والجور. ونفهم أن الحاكمية هي لله وحده، ونفهم أن الحسن ما حسّنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع. ونفهم أن الخير ما يرضى الله سبحانه وتعالى وأن الشر ما يسخطه. وهذا كله قطعي وعقيدة لدى كل مسلم. ونفهم أن شريعتنا كاملة بذاتها من غير أي إضافة بشرية. وأن ديننا لا يحتاج إلى توسيع ولا تضييق. وأن التغيير المطلوب هو تغيير في المسلمين لا في الإسلام. تغيير للأفكار والمفاهيم، للقناعات والمقاييس لتكون كما أمر الله تعالى، وليس التغيير أن نغير الإسلام ليتطابق مع الواقع. والظلم والعدل والحسن والقبح أيا كان مصدره هو قبح وظلم ما لم يكن مأخوذاً من شريعة الإسلام وبنيّة طاعة الذي لا يُعبد سواه.

وإذا كان هناك شيء قد امضاه الإسلام أو أقره كما هو، فهو يؤخذ بناء على أنه تشريع إسلامي وليس بالاستصحاب، ولا علاقة للاستصحاب الذي تحدث عنه العلماء والأصوليون بهذا الاستصحاب الواسع المطروح عند مدّعي التجديد.

فدعوة التجديد هذه عن طريق اعتماد القياس الواسع والاستصحاب الواسع هي للأصول وليس للفروع وحسب. والمقصود منها هز أركان هذه الشريعة بنسبتها إلى الجمود والتخلف والتأثر بتعقيدات الفلاسفة لتسهيل الانفلات من قيود النصوص وضوابط أصول الفقه المستنبطة منها، وليسهل بعدئذٍ تناول كل الأحكام الشرعية بالتغيير والتبديل. وليسهل تناول وتشريع المفاهيم والقوانين الغربية الوافدة مع الاستعمار ومدنيته. وبعض الذرائع التافهة لذلك كله هي أن الطائرة والصاروخ والكمبيوتر تقتضي تعديلات على أحكام الزواج والطلاق والشعائر، وتستدعي قلب نظام الحياة العامة عند المسلمين. ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾.

ويخرج ما في قلوب هؤلاء (المجددين) من خلال تصريحات وأقوال كثيرة غير الكتاب الذي ذكرناه. فأقوال الترابي تتتابع في موضوع وحدة الأديان مثلاً وعدّ اليهود والنصارى مؤمنين. والدعوة إلى وقوف الديانات الثلاث موحّدة في وجه الملاحدين. يقول في مجلة (قراءات سياسية) العدد ١١/١٢ لسنة ٩٣: «علينا أن نعيد تصنيف التقسيمات السابقة للأديان ونضعها في إطار معادلة جديدة: دينيون وغير دينيين». ويقول فيما يدل على فصل الدين عن الحياة في نفس المجلة: «فالدين عالمي والله للجميع، والله لم يرسم الحدود الطبيعية السياسية لأن الأديان جميعها عالمية». أليست هذه هي نفس مقولة العلمانيين: (الدين لله والوطن للجميع)، أو (أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله). ويظهر ما يخبئه الترابي في دعوته للتجديد عندما يرفض حكم الإسلام صراحة جهاراً ويطالب بدلاً منه بمقولة الحضارة الغربية في حرية العقيدة. قال في مقابلة مع مجلة الوسط ٧/١١/٩٤: «أنا من أشد الناس اهتماماً بالحرية بالمقارنة مع إخواني من علماء الحركة الإسلامية، وإذا حكمت سأترك للآخرين حريتهم، وإذا حكموا أريدهم أن يتركوا لي حريتي. وأنت تعلم رأيي في حرية من يخرج من الدين، على رغم ما جلب عليّ من نقد وخلاف». فهو يرفض حكم الإسلام بقتل المرتد. وماذا يفعل بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثَّيِّبُ الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة» وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من بدّل دينه فاقتلوه»؟ إنه يلقي هذه النصوص جانباً ويعمد إلى الحريات الغربية السائدة في عصرنا ليتناول منها فكرة حرية العقيدة. وهذا تطبيق حرفي لمنهجه الذي تحدثنا عنه فيما سبق. ولمَ لا، فهو مجدِّد!!.

ونذكر هنا أن هذا هو نفس منهج الشيخ راشد الغنوشي وقد تناولناه في العدد (٨٨) من مجلة «الوعي» هذه. الغنوشي يردد نفس أقوال الترابي حول حوار الأديان وحول الديمقراطية والحريات

العامة ويقول: «إن الردة لا تقام عليها الحدود». ويقول الغنوشي عن الترابي: «هو مجدّد. هو أستاذ لجيل من الإسلاميين أنا منهم»، «هو في مقام الأستاذية لجيلنا». انظر مجلة الشراع ٩٤/١٠/٢٤.

نخْلُص مما سبق إلى أن دعوة التجديد التي يروّج لها اليوم، (حيث الصحوة الإسلامية تُنبِّهُ المسلمين وتدفعهم إلى خوض الصراع مع أنظمتهم وتوجّههم نحو الفهم الصحيح للاسلام الذي يرفض الأفكار والمفاهيم الغربية النتنة، ويتطلع إلى القضاء على الاستعمار مهما كانت هويته، وإلى إقامة الدولة الإسلامية، دولة الخلافة، واستئناف الحياة الإسلامية، والجهاد في سبيل الله)، دعوة التجديد هذه هي عنوان مزيف، لخداع المسلمين للوقوع في حبائل أميركا وعملائها في خطة القضاء على الإسلام فهي دعوة لتبرير القبول بالكفر والخضوع له واعتباره شرعيا. والمجدّدون السائرون في ركاب هذا الخط ينطبق عليهم قول الله تعالى في سورة النساء: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً * وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا﴾.

* * *

وننتقل إلى دعوة التجديد، ومنها فقه الموازنات، عند الدكتور يوسف القرضاوي من خلال كتابه (أولويات الحركة الإسلامية). ولا بد أن أشير أولاً إلى أن أكثر ما ورد في هذا الكتاب جيد. إلا أنه قد يكون القليل - في كثير من الأحيان - أكبر أثراً من الكثير. فقد يدخل الكثير ضمن الفروع، بينما يشكل القليل تأصيلاً لمنهج ينبني عليه ما هو أكبر وأبعد اثراً من الكثير. وإذا كان المنهج يبرر فعل الحرام، كفقه الموازنات المطروح، فذلك أمر نتائجه خَطِرة، ويكاد يغدو محه النهج أو السلوك طليقاً من قيود النصوص ومتجاوزاً لحدودها.

يحدثنا الدكتور القرضاوي أن الفقه الذي ينشده لأجل التجديد خمسة أنواع هي: فقه المقاصد، فقه الأولويات، فقه السنن (أي سنن الحياة والكون والمجتمع)، فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد، فقه الاختلاف. ثم يشرح ما يقصده بفقه الموازنات فيقول: «أما فقه الموازنات فنعني به جملة أمور:

أ - الموازنة بين المصالح بعضها وبعض...

ب - الموازنة بين المفاسد بعضها وبعض...

جـ - الموازنة بين المصالح والمفاسد إذا تعارضتا...» انظر صفحة ٣٠ من كتابه المذكور الصادر عن مؤسسة الرسالة.

وهذا الكلام، لم نكتب لنعترض عليه، وإن كان لنا عليه تحفظ لجهة وجوب بيان من الذي يرجع إليه تعيين المصلحة وتعيين المفسدة. ولجهة من الذي يحدّد أيهما أكبر أو أولى أو أشد. أهو العقل أم الشرع؟.

إلا أن الأمر المهم الذي لأجله نفنّد هذا المنهج، هو مواضع تطبيقه. فهل يُطبّق هذا الفقه على وقائع أو قضايا قد حسمتها النصوص، كالربا أو الزنا أو الحكم بغير ما أنزل الله، أو التحالف مع الكفار لقتال المسلمين مثلاً؟ الواضح من تطبيقات القرضاوي لفقه الموازنات أنها إعادة نظر في أحكام شرعية حسمتها الأدلة من قرآن أو سنة أو إجماع صحابة. فهو يفتي بناء على الموازنة العقلية بما يخالف دلالة النص. وسنأتي على الأمثلة التي تؤكد هذا الأمر. ولكنا قبل ذلك نريد أن نضبط هذا النوع من الفقه - الأمر الذي أغفله الدكتور - لنعرف المقصود بالمصلحة والمفسدة، وأين يقام بالموازنة.

يفصّل في هذا الأمر بضبط ودقة، ويأتي بمئات الأمثلة والجزئيات التطبيقية الفقيه الشافعي الإمام عز الدين بن عبد السلام رحمه الله في كتابه: (قواعد الاحكام في مصالح الأنام) صادر عن مؤسسة الريان.

يبين الإمام ابن عبد السلام أن المصلحة هي ما طلب فعله الشرع، والمفسدة هي ما نهى عنه الشرع. ولذلك فهو يقسّم المصالح بحسب تقسيم الأحكام الشرعية. يقول في الصفحة ٤١: «إعلم أن المصالح ضربان: أحدهما ما يثاب على فعله لعظم المصلحة في فعله، ويعاقب على تركه لعظم المفسدة في تركه. وهو ضربان: أحدهما: فرض على الكفاية، كتعلّم الاحكام الشرعية الزائدة على ما يتعين تعلمه على المكلفين، والثاني: فرض على الأعيان كتعلّم ما يتعين تعلمه من أحكام الشريعة... الضرب الثاني من المصالح: ما يُثاب على فعله ولا يعاقب على تركه، وهو ضربان: أحدهما سنة على الكفاية كالأذان والإقامة... والثاني: سنة على الأعيان كالرواتب... والمفاسد ضربان: أحدهما ما يُعاقب على فعله ويؤجر على تركه إذا نوى بتركه القُربة... والثاني ما لا يعاقب على فعله وتفوته مصلحة بتركه كالصلاة في الأوقات المكروهات...». ويقول في الصفحة ٩: «والمصالح ثلاثة أنواع: أحدها: مصالح المباحات، والثاني: مصالح المندوبات، الثالث: مصالح الواجبات. والمفاسد نوعان: أحدهما: مفاسد المكروهات، والثاني: مفاسد المحرمات». فالمفسدة هي ما جعله الشرع مفسدة والمصلحة هي ما جعله الشرع مصلحة، أما ما

يتوصل إليه الإنسان، من المصالح والمفاسد، بتجاربه وعقله، فهو من مصالح ومفاسد الدنيا ولا قيمة لها أمام مصالح ومفاسد الآخرة أو الدارين». يقول في الصفحة ٩: «فكل مأمور به ففيه مصلحة الدارين أو احداهما، وكل منهي عنه ففيه مفسدةٌ فيهما أو في احداهما، ثم يقول: «فلا نسبة بمصالح الدنيا ومفاسدها إلى مصالح الآخرة ومفاسدها». وعليه فما يراه الإنسان مصلحة بعقله وسعة إطلاعه وعلمه، يعتبر مفسدةً في الحقيقة، أو مصلحةً ملغاة شرعاً، إذا خالف مدلول النص. وعليه أيضاً فتحديد المصالح والمفاسد راجع إلى الشرع وليس إلى العقل. وحيث يكون الشرع تكون المصلحة. وإذا وجد الإنسان بعقله غير ذلك، فعليه أن يخطّيء نفسه ويخضع لحكم الشرع. ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾.

فلا يمكن القيام بالموازنات بين المصالح أو المفاسد في الوقائع التي حسمها الشرع. فما نهى عنه الشرع فهو مفسدة، اي حرام. ولا تجوز الموازنة بين مصالح تركه ومصالح فعله. وإنما يجب تركه. وما نص الشرع على أنه واجب، فهو مصلحة، ويجب فعله، ولا تجوز الموازنة بين مصالح فعله ومصالح تركه أو مفاسدهما. أين يقام بالموازنات إذاً؟

يقام بالموازنات في الحالات الخمس التالية:

أ ـ إذا كان القيام بالفعل المأمور به يقتضي، ولا بد، القيام بفعل منهي عنه.

ب ـ إذا كان القيام بالفعل المأمور به يقتضي، ولا بد، ترك فعل آخر مأمور به.

جـ ـ اذا كان ترك المنهي عنه، يقتضي، ولا بد، ترك فعل آخر مأمور به.

د ـ اذا كان ترك المنهي عنه، يقتضي، ولا بد، القيام بفعل آخر منهي عنه.

هـ ـ في المباحات.

وبناء على ما سبق وبيّناه: فالفعل المأمور به هو المصلحة والفعل المنهي عنه هو المفسدة. والموازنة بين مصلحتين أو فعلين مأمور بهما هي بتحديد ايهما واجب وايهما مندوب، فالواجب أولى وأكد والزم من المندوب في طلب الفعل. واذا كانا واجبين، تكون الموازنة لمعرفة ايهما أشد وجوباً أو أوجب، وهذا من التشريع،فهو راجع إلى الشرع وحده. واذا كانا مندوبين فالشرع يحدد ايهما مندوب اكثر.

والموازنة بين مفسدتين أو فعلين منهي عنهما هي بتحديد ايهما حرام وايهما مكروه، فالحرام أولى وأشد وأكد والزم في طلب الترك أو الانتهاء عن الفعل. واذا كانا حرامين تكون الموازنة لمعرفة ايهما أشد حرمةً، وهذا راجع إلى الشرع وحده. واذا كانا مكروهين فالشرع يحدد أيهما أكثر كراهة.

واذا كانت الموازنة بين مباحات، فهذا مما هو متروك للبشر ان يختاروا فيه. فالمباح هو ما خُيّر فيه العبد بين الفعل والترك. ويختار الانسان هنا ما يراه أكثر توصيلاً إلى المطلوب. وفي هذه الموازنة الأخيرة تفصيل لسنا بصدده.

أما أن ينهى الله سبحانه وتعالى عن فعل، ثم يأتي أحد ما، ليقول: إن ترك القيام بالفعل الذي نهى الله عنه يضيع علينا مصالح كبيرة، ثم يعدد لنا مصالح دنيوية أو عقلية، ويفتينا بجواز القيام بالفعل المحرم، فهذا ليس من الإسلام في شيء.

وقطعاً لكل ريبة، وسداً لكل تذرُّع عند المتذرعين بالمصالح المرسلة نقول: إن الأصوليين انقسموا في المصالح المرسلة بين آخذ بها ورادّ لها. أما الرادّون لها وهم جمهور العلماء الأصوليين، فقد رفضوا اعتبار المصلحة في التشريع، حتى ولو لم يوجد نص شرعي يلغيها. ورأوا أن المصلحة لا تكون معتبرة الا اذا دل عليها الدليل. واما الآخذون بها فاشترطوا لاعتبارها شروطاً من بينها ان لا يوجد اي نص شرعي او دليل يلغيها. والمصالح المرسلة داخلة اصلاً في المباحات، أو ما يطلق عليه البعض منطقة العفو.

كان هذا التقديم الطويل قبل دخول الموضوع، لأجل التحديد والضبط لبعض قواعد الأحكام، ولمفاهيم المصلحة والمصالح والمفسدة والمفاسد. وذلك لإسقاط الحجج الواهية كالمصلحة والمفسدة والموازنة والتجديد، التي اتخذ منها البعض في عصرنا، ومنهم الدكتور يوسف القرضاوي، منهجاً تبريرياً، ومدخلاً لتشريع فعل الحرام، والحجة دائماً، جلب المصلحة ودرْء المفسدة.

يقول الدكتور القرضاوي تطبيقاً لفقه الموازنات في الصفحة ٣٢ من كتابه (أولويات الحركة الإسلامية): «فكثير من اسباب الخلاف بين الفصائل العاملة للإسلام يرجع إلى هذه الموازنات:

ـ هل يقبل التحالف مع قوى غير اسلامية؟

ـ هل تقبل مصالحة أو مهادنة مع حكومات غير ملتزمة بالإسلام؟

ـ هل تمكن المشاركة في حكم ليس اسلامياً خالصاً؟ وفي ظل دستور فيه ثغرات أو مواد لا نرضى عنها تمام الرضى؟

ـ هل ندخل في جبهة معارضة مكونة من بعض الأحزاب لإسقاط نظام طاغوتي فاجر؟

ـ هل نقيم مؤسسات اقتصادية اسلامية مع

سيطرة الاقتصاد الوضعي الربوي؟

ـ هل نجيز للعناصر المسلمة العمل في البنوك والمؤسسات الربوية أم نفرغها من كل عنصر متدين ملتزم؟» انتهى قول القرضاوي.

قبل الحديث في مضمون هذه القضايا، لنا ملاحظتان. الأولى: إن الأسئلة مصاغة بشكل يوجه الإجابة إلى ما يريده السائل. وما يريده الكاتب أفصح عنه في أماكن أخرى. الثانية: حذر الكاتب من ردة الفعل على طروحاته، إذ الظاهر فيها مناقضتها النصوص، وصيغة الاستفسار هي نفسها حذر. والحذر الأكبر في عدم تحديد وضبط القضية المطروحة للعلاج، وفي التهوين والتهويل الذي يعتمده الكاتب حيث يلزمه ذلك. وعدم الضبط هذا يصادر على ردة الفعل. ويعين على التنصل من المعاني المقصودة، بالتوسل بمعانٍ غيرها.

ففي المسألة الأولى مثلاً (هل يقبل التحالف مع قوى غير إسلامية؟) لم يبين لنا الدكتور موضوع التحالف أو بنوده، ولا خطته أو هدفه. وهل يترتب على الحركة في هذا التحالف التنازل عن بعض الأحكام أو المفاهيم الإسلامية؟ وهل يوجب على الحركة تبني أفكار أو مفاهيم غير إسلامية؟ أم أن التحالف هو فقط لتحقيق بعض الأخلاقيات والفضائل؟ ثم ما هو المقصود بالقوى غير الإسلامية، هل تتألف من ملحدين وعلمانيين؟ وهل من أهدافها محاربة الإسلام والحركات الإسلامية؟ وهل هي ذات صبغة وتوجه سياسي أم أنها جمعيات خيرية؟ وغير هذه الأسئلة. كل هذا غير واضح، والغموض في الواقع يؤدي إلى ضياع في الفهم، وعدم القدرة على اعطاء حكم، ويقف حائلاً دون محاكمته المعالجات المطروحة لهذا الواقع.

والقضية الثانية التي يطرحها الدكتور (هل تقبل مصالحة أو مهادنة مع حكومات غير ملتزمة بالإسلام)؟ لماذا التنكير في كلمتي (مصالحة) و (مهادنة)؟ وهل تقتضي هذه المصالحة أو المهادنة السكوت على منكرات الحكومات وعلى تطبيق الكفر؟ هل تقتضي اصدار بعض التصريحات والمواقف التي قد تفهم منها الأمة وقواعد الحركة شرعية الحكومات وأعمالها؟ هذا كله غامض.

أما القضية الثالثة فموضوعها واضح، وهو المشاركة في الحكم بالكفر، واضح مهما أبعد عن الضبط. ولذلك نجد الدكتور هنا يحاول تهوين القضية، فبدل ان يقول «في حكم كفر» نراه يقول: «في حكم ليس اسلامياً خالصاً»، وبدل ان يقول: «في ظل دستور وضعي كافر» نجده يقول: «في ظل دستور فيه ثغرات». وبدل ان يقول: «حرم الله علينا أن نقبله أو نرضى به وأوجب علينا العمل لإزالته وتغييره». هو يقول: «لا نرضى به تمام الرضى». وكأن أنظمة الحكم في بلادنا اسلامية يشوبها قليل من أحكام غير إسلامية، أو كأن دساتيرنا اسلامية لولا بعض الثغرات أو المواد القليلة، أو كأننا راضون عن أنظمة الحكم القائمة في بلادنا وقوانينها، ولكن ليس تمام الرضى.

فلماذا التهوين؟ التهوين في قضية هي مصيرية، وهي الأولى عند الأمة الإسلامية الآن! أليست الأهداف كلها تتوجه نحو هدف إزالة أنظمة الكفر وتطبيق الإسلام. أليس في تمييع القضايا ـ المهمة على الخصوص ـ وعدم اعطائها العلاج الشرعي الصحيح يكمن خطر الانحلال والسقوط؟

القضيتان الرابعة والخامسة من أمثلة الدكتور القرضاوي ينطبق عليهما ما قلناه في القضيتين الأولى والثانية من حيث مطاطية المعاني.

القضية السادسة (هل نجيز للعناصر المسلمة العمل في البنوك والمؤسسات الربوية أم نفرغها من كل عنصر متدين ملتزم ؟) فيها وضوح مهما مُيِّعتْ. ولذلك نرى أسلوب الدكتور هو التهويل، ناهيك عن التوجيه الواضح. ما هي القيمة الشرعية لتفريغ أو عدم تفريغ المؤسسة الربوية من الملتزمين؟ لأن الربا حرام ومقارفته من الكبائر، ولا يمكن المساس بها، يعمد الدكتور إلى تهويل ما لا شأن له ولا أثر له على الإطلاق. ولو طبقنا القياس الذي يدعو اليه المجددون اليوم، فلنتخيل بناء على هذه القضية، الأماكن الأخرى التي ينبغي أن لا نفرغها من الملتزمين وربما الملتزمات ايضاً.

كل هذا يقوم به الدكتور مع أنه يقول في الصفحة ٩٦: «ومما ينافي التفكير العلمي تبسيط الأمور المعقدة، وتهوين الأمور الكبيرة، والنظر إلى المشكلات العويصة بسطحية مخيفة ومعالجة القضايا الكبرى بعقلية العوام وطريقة الدراويش» فهو يُقْدم على ما يحذّر منه.

هذا من جهة الصياغة المريبة والموجهة ومن جهة التهوين والتهويل. أما من جهة مضمون القضايا المطروحة كأمثلة على فقه الموازنات، فسنتناول قضيتين فقط وذلك لوضوح موضوعهما رغم ما شابهما. ونترك الأربع الأخرى ـ وهي حمّالة معانٍ ـ لعدم الإطالة.

القضية الأولى: هل تمكن المشاركة في حكم ليس اسلامياً خالصاً؟..

لقد أوردنا في الصفحات السابقة توضيحاً وضبطاً للموازنات وموضع القيام بها. فهل تخضع هذه القضية لهذا الفقه؟ يقول تعالى: ﴿ومن

لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾، ﴿الظالمون﴾، ﴿الفاسقون﴾، ويقول: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك، فإن تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم، وإن كثيراً من الناس لفاسقون﴾. هذه الآيات قاطعة في حرمة الحكم بالكفر. والمشاركة في الحكم بالكفر هي حكم بالكفر. فتكون حراماً. وتكون مفسدة. والمصلحة التي يرتئيها الانسان بعقله في اقتراف هذه الجريمة أو المفسدة، تعتبر ملغاة لأنها ناقضت النص الشرعي.

واين الموازنة هنا؟ الموازنة يقام بها اذا كان ترك المشاركة يقتضي ولا بد ترك واجب، أو فعل حرام. والدكتور لا يذكر لنا هذه التفاصيل. فهل هناك مفسدة اكبر من مفسدة أو حرمة المشاركة نقع فيها حتماً اذا لم نشارك في الحكم بالكفر، وهل هناك مصلحة كبيرة اكبر من مصلحة ترك المشاركة تضيع اذا لم نشارك. هل هناك فعل واجب لا يمكن القيام به الا بتحليل الحرام وهو المشاركة. كلا، لا يوجد اي شيء من هذا، ولم نعثر على أي شيء منه لا عند الدكتور القرضاوي ولا عند غيره ممن يتذرعون بالموازنات او المصالح او غيرها لتبرير فعل الحرام. وهل يقال عن هذا المنهج شيء سوى انه تبريري وغير شرعي، ويحلل ما حرم الله؟ إنه ترك للشرع إلى الرأي، إلى الهوى. إنه تحكيم لحكم العقل عندما يصدمه النص وتبرير لذلك بالتجديد، التجديد الذي هو في حقيقته إزالة وتغيير لأحكام الشريعة، وإن ادعي المجدد غير ذلك. يقول في الصفحة ١٠٩: «إن تجديد شيء ما لا يعني إزالته واستحداث شيء آخر مكانه... فها هو مرة اخرى يُقدم على ما يحذّر منه، ولا يلتزم بما يقوله. كيف يُخضع الدكتور القرضاوي قضية شرعية، حسمها القرآن، لمنطق الموازنات؟ يقول العز بن عبد السلام في الصفحة ٤٩: «فويل لمن ترك سياسة الرحمن واتبع سياسة الشيطان وارتكب الفسوق والعصيان». ﴿وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل﴾.

القضية الثانية: هل نجيز للعناصر المسلمة العمل في البنوك والمؤسسات الربوية أم نفرغها من كل عنصر متدين ملتزم؟

نحن والدكتور نعلم ان الربا حرام ومن الكبائر. فهو مفسدة ومن اكبر المفاسد. ولم نجد عنده في إباحة هذه المفسدة (سنذكر نص الإباحة بعد قليل) مفسدة اخرى اكبر منها لا يمكن درؤها الا باقتراف هذا العمل. ولا نجد مدخلاً للموازنة. المفسدة الأكبر عند الدكتور القرضاوي هي تفريغ المؤسسات الربوية من الملتزمين. ولكن هل تفريغ هذه المؤسسات حرام شرعاً لنوازنه مع العمل بالربا؟ أو هل تفريغها يؤدي إلى ترك واجبات شرعية، أو تضييع مصالح طلبها الشرع ولا يمكن تحصيلها البتة إلا بالعمل المحرم بالربا؟ كلا، ولا يذكر الدكتور شيئاً من هذا. وعند التطبيق لا يقيم وزناً لأحد شروط الموازنة، وهو ما يسميه العلماء: التزاحم. أي ان يكون ترك الحرام مؤدياً ولا بد إلى حرام أكبر، مع أن الدكتور عندما يشرح لنا الموازنات المطلوبة يقول في الصفحة ٣٠: «إذا تعارضت المفاسد والمضار، ولم يكن بد من بعضها، فمن المقرر ان يرتكب أخف المفسدتين، واهون الضررين» ها هو اذا، مرة ثالثة لا يلتزم بما يقوله.

ولا أعرف ان كان هناك أوضح من هذا التبرير ليدل على ان المنهج المقصود هو لتبرير فعل الحرام. فهل هناك حجة أكثر تهافتاً وسقوطاً من حجة التفريغ المزعومة لإباحة الحرام؟ إنه الاعراض عن آيات الله وعن أحكام الشريعة والإقبال على شريعة العقل المتأثر بالحضارة الغربية. قال تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى * قال ربِّ لِمَ حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى﴾ أما نص اباحة الربا الذي قلنا انا سنذكره، فهو قول الدكتور القرضاوي في الصفحة ٣٥: «وفي ضوء هذا الفقه (فقه الموازنات) أفتي الشباب المسلم الا يدع عمله في البنوك وشركات التأمين ونحوها، وإن كان في بقائه فيها بعض الأثم، لما وراء ذلك من استفادته خبرة يجب ان ينوي توظيفها في خدمة الاقتصاد الإسلامي مع انكاره المنكر ولو بقلبه وسعيه مع الساعين لتغيير الأوضاع كلها إلى أوضاع اسلامية». وليلاحظ القارىء ـ مرة أخرى ـ عملية التهوين والتهويل والحذر، التهوين بقوله «بعض الأثم» والتهويل بذكر الخبرة التي ستصب في خدمة الاقتصاد الاسلامي. والحذر من ردة الفعل بقوله «يجب ان ينوي توظيفها...» إلى آخر النص.

وعندما يستدل القرضاوي على الموازنات بالقرآن، لا يقوم بدراسة وافية مستقصية، ولا باجتهاد شرعي صحيح، وإنما يستدل بالآيات على عكس ما تدل عليه. يذكر في الصفحة ٣٤ خمسة أمثلة من القرآن، نتناول منها هنا الأول والثاني فقط لعدم الإطالة. وهما الأبرز. يقول: «نجد في الموازنة بين المصالح قوله تعالى على لسان هارون لأخيه موسى عليهما السلام: ﴿يا ابن أمّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي، إني خشيت أن تقول فرّقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي﴾ طه: ٩٤. وفي الموازنة بين المفاسد والأضرار نجد قوله تعالى على لسان الخضر في

تعليل خرق السفينة: ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر، فأردت أن أعيبها، وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً﴾ الكهف: ٧٩. فلأن تبقى السفينة لاصحابها وبها خرق اهون من أن تضيع كلها، فحفظ البعض أولى من تضييع الكل».

أما الدليل الأول، فلم يذكر لنا القرضاوي وجه الدلالة في هذه الآية على الموازنة، وكيف يقررها القرآن. وإذا دلت الآية على قيام هارون بالموازنة، فالآيات دلت على رفض موسى لهذه الموازنة، وعلى رفض القرآن لها. فلنقرأ الآيات الواضحات مفصلة في سورة الأعراف: ﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً، اتخذوه وكانوا ظالمين * ولما سُقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين * ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين * قال ربِّ اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين﴾. والآيات من سورة طه تقول على لسان موسى: ﴿قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا * ألا تتبعن أفعصيت أمري﴾ فالآيات تدل على رفض موسى لهذه الموازنة، وعلى أنه طلب المغفرة لأخيه. وهذا يدل على ان عمل هارون لم يكن هو الصحيح ولكن قدتكون له فيه رخصة لانه كان مُكرهاً ﴿إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني﴾ ولذلك دعا له موسى بالمغفرة. وإذا عدنا الى الموازنة التي قصدها الدكتور وهي: أيهما افضل، سكوت هارون على اتخاذهم العجل من أجل بقائهم متّحدين، ام مجابهة هارون لمنكرهم التي ستؤدي إلى تفرقهم؟ ويفهم من سياق كلام الدكتور ان هارون فضل وحدتهم ولو على عبادة العجل، على تفرقهم الى فئتين واحدة تعبد الله والأخرى تعبد العجل.

وهذا الفهم او هذا المعنى مرفوض بنص القرآن الذي يقول: ﴿وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾. فالتفرّق افضل من التوحّد على الضلال والإثم والعدوان. وهذا أصل ثابت في شريعة محمد ﷺ وفي شرائع الأنبياء السابقين. قال تعالى: ﴿لا تجدُ قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله...﴾ الآية. ولم يُبعث نبيٌّ الا تفرّق القوم الذين بُعث فيهم الى مؤمنين وكافرين يخاصم بعضهم بعضاً. وماذا يبقى من رسالة الأنبياء اذا كان همهم هو وحدة قومهم ولو على الكفر وعبادة العجول؟

أما الدليل الثاني في قصة سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام، فهي أيضاً دليل عليه لا له. فسيدنا موسى عندما شاهد الخضر وقد خرق السفينة، قدّر الأمور بعقله وبعلمه القاصر عن الغيب، فوجد في فعل الخضر ضرراً ومفسدة، والأمر نفسه حصل عندما قتل الخضرُ الغلام، وعندما اقام الجدار. كما أخبرنا تعالى في سورة الكهف. فاستنكر موسى أعمال الخضر. فهل كانت الموازنات المنسوبة إليه شرعية او صحيحة، وهل تدل الآية التي استدل بها الدكتور على شرعية الموازنات العقلية؟

إن آيات سورة الكهف تدل على شرعية فعل الخضر وعلى عدم شرعية استنكار موسى لفعله. مما يدل على عدم شرعية الموازنات العقلية، وان موازنات العقل لا تدل على المصلحة الحقيقية، لأن العقل عاجز عن الإدراك المحيط بالحاضر، ناهيك عن الغيب المستور. وإذا كان الدكتور يقصد ان الذي قام بالموازنة هو الخضر، فليس له ذلك، لأن الخضر لم يفعل ما فعله إلا لان الله أمره بذلك كما بينت الآيات: ﴿وما فعلته عن أمري﴾ والبيان المفصل الذي قدمه الخضر لموسى يدل على ان أمر الله تعالى هو المصلحة الحقيقية. لأن المصالح العقلية المتكهّنة والمظنونة بتقدير البشر بنقصها العلم بالغيب والعلم بالحاضر: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾. وقد تكون المفسدة حيث نظن المصلحة مهما اتّسع فقهنا بالواقع وبسنن الحياة والمجتمعات والكون ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾. فالعبرة التي نأخذها من القصة، والمعاني التي نفهمها من الآيات هي وجوب التزام الوحي ولو تعارض مع العقل، لان العقل قاصر. والوحي هو من عند الله الذي خلق الواقع وخلق السنن ويعلم الغيب والحاضر ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾. ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾. ونعود مرة اخرى لنؤكد أن الخضر لم يفعل ما فعل بناء على منطق الموازنات، وإنما امتثالاً لامر الله. ﴿وما فعلته عن أمري﴾. وأن عمل الموازنات في مورد النص لا يجوز ويؤدي إلى الخطأ كما حصل مع موسى عليه السلام، وهذا بدوره يؤدي إلى الشقاء في الدنيا وفي الآخرة.

ونذكّر هنا بالقول المشهور للعلماء: «لا اجتهاد في مورد النص».

هذا هو الدليل الثاني عند الدكتور القرضاوي وهو لا يؤيد ما يدعو إليه. يقول في الصفحة ٩٤ حول الفكر العلمي الذي يدعو إليه: «ذلك الفكر

الذي لا يقبل دعوى بغير دليل، ولا نتائج بغير مقدمات، ولا يقبل من الأدلة إلا الموثق، ولا من المقدمات إلا اليقين الذي لا يرتاب فيه».

وهكذا يمضي القرضاوي في كثير مما سنذكر منه قليلاً. يقول في الصفحة ٣٣: «لقد لقي العلامة المودودي وجماعته عنتاً كثيراً حينما رأى - في ضوء فقه الموازنات - أن انتخاب فاطمة جناح أقل ضرراً من انتخاب أيوب خان، فشنّت الغارة عليهم بحديث «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة». وهل يفلح قوم ولوا أمرهم طاغية متجبراً؟ لن يفلحوا». وهكذا تنتهي القضية عند القرضاوي، فهل هذه الطريقة في البحث صحيحة شرعاً؟ كلا، لا يجوز اتخاذ الطاغية المتجبر حجة لترك الحديث. وليس معنى ترك تولية الأمر للمرأة، أن يتولاه الطاغية المتجبر. فهناك عمل ثالث وهو أن يتولى المؤمن العادل التقي. وإذا كانت الأوضاع لا تسمح فيلزم حينئذ العمل على تغيير الأوضاع كلها كما فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم. لا أن نُقْدم على فعل الحرام. فليس في هذه القضية بدٌّ أو حتم، بل هناك حل ثالث وهو عدم الاقدام على أيّ منهما.

وفي ظل هذه الدعوة إلى التجديد، وهو تبرير تشريع ما هو غير مشروع، بأسلوب متغافل وغير علمي، تدخل مفاهيم الحضارة الغربية، ويصبح قول الملتزمين بدلالات النصوص غريباً عجيباً. فتُشرع المطالبة بالديمقراطية ويصبح الإسلام دين الحريات العامة، وتصبح الأحزاب غير الإسلامية أمراً مشروعاً، ويصبح الخليفة أجيراً عند الشعب، وتصبح السيرة النبوية ليست من السنة. ومثل هذه الأقوال يكررها القرضاوي في أكثر من موضع ومناسبة. يتحدث في الصفحة ١٢٨ عن: «الخلل ينبغي علاجه فيما نقرؤه ونسمعه من مفاهيم غريبة، وأحكام عجيبة، ومناهج في الاستدلال أغرب وأعجب». ثم يقول: «لقد رأينا من يعتبر الشورى معلمة لا ملزمة، ومن يمنح رئيس الدولة حق إعلان الحرب وعقد المعاهدات دون الرجوع الى ممثلي الامة... ومن يرى الديمقراطية كفراً أو سبيلاً الى الكفر!»، «ومن يرى أن التعدد أو التعددية - كما يقال اليوم أمر يرفضه الاسلام».

ولا بد أن نشير هنا الى أن التعددية تعني جواز وجود أحزاب تقوم على أساس عقائد كفر وتدعو اليه كالأحزاب العلمانية والشيوعية. ولن نستقصي هنا كل أقواله فمن أرادها فليرجع الى كتابه.

ولأن، هذا المنهج الذي يدعو اليه يخالف منهج وسيرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، نراه يقلل من شأن السيرة، ويكاد يخرجها من السنة. ولربما فعل، فليقرّر القارىء. يقول الدكتور القرضاوي في الصفحة ١٣٣: «والسيرة ليست مرادفة للسنة. فمن السيرة ما لا يدخل في التشريع، ولا صلة له به، ولهذا لم يدخل الاصوليون السيرة في تعريف السنة، بل قالوا: السنة ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، ولم يجعلوا السيرة منها».

ثم يقول: «المهم أن بعض الفضائل الاسلامية تتخذ من السيرة دليلاً على الأحكام وتعتبرها ملزمةً لكل المسلمين». ثم يقول: «على أن اتخاذ الأسوة من سيرته انما يكون في الأخلاق والقيم والمواقف العامة، لا في المواقف التفصيلية». ثم سرعان ما ينسى الدكتور قوله إن الاصوليين قد اخرجوا السيرة من السنة، فيقول: «ان السيرة تمثل الجانب العملي من حياة النبي ﷺ أي تمثل قسم (الفعل) من السنة غالباً».

عجيب غريب قول الدكتور هذا. وهل تعدو سيرة النبي صلّى الله عليه وآله وسلم أن تكون قولاً أو فعلاً أو تقريراً، فكيف يخرجها من السنة حسب التعريف الذي أورده. ثم هو نفسه عاد وأكد أن السيرة تمثل قسم الفعل من السنة. فما الذي يريده؟ ولماذا هو مضطرب بشأن السيرة؟ ولماذا، وبماذا يعترض على الفضائل الذين يجعلونها قسماً من السنة ويحتجون بها كاحتجاجهم بأي شيء صادر عن النبي ﷺ بعد النبوة؟ هل هذا ما يقتضيه تجديد الدين؟ ومن هم الذين جعلوا السيرة بديلاً عن السنة حتى يشنّ حملته عليهم؟

السيرة هي بعض السنة، والسيرة المعنية هي ما بعد البعثة. وهي سيرة النبي الرسول محمد صلّى الله عليه وآله وسلم، وليس سواه. والأحكام الشرعية تستفاد من السيرة كما تستفاد من السنة. أما تعذر الدكتور بأن: «في السيرة كثيراً من الوقائع والأحداث مروية بغير السند المتصل الصحيح...» فهذا شأن كثير من مصادر السنة الموجودة بين يدينا. فهل نرد الاستدلال بأحاديثه ﷺ، لأن كثيراً من الاحاديث مروية بغير السند المتصل الصحيح. وبما أن الدكتور لا يردّ مصادر الأحاديث وكتب السنن، فعليه أن لا يرد السيرة وأن يعتبرها مصدراً للتشريع. ما يثبت يُعتبر وما لا يثبت لا يعتبر، شأن كل ما ينسب الى النبي صلّى الله عليه وآله وسلم.

وفي ختام هذا البحث نسأل الله لأنفسنا ولجميع إخواننا من المسلمين، وخاصة العلماء والدعاة والباحثين، أن يبعد عنا الضلال ويبعدنا عنه، وأن يحفظنا من لوثات الكفار والتشبه بالكفار، وأن يهدينا لما يحبه ويرضاه، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. ربنا ﴿ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ □

شعبان ١٤١٥ هـ - الموافق كانون الثاني ١٩٩٥

الكتّاب العرب .. والمسلمون: في الجنة أم في النار؟

بقلم الدكتور احمد موسى عادل الشيشاني جامعة الملك سعود / الرياض

(هذه الكلمة كتبت قبل الهجوم الروسي الشرس على العاصمة والمدن الشيشانية).

الكتّاب العرب والمسلمون بحاجة الى مزيد من درجات الجهاد بالكلمة في نصرة شعب البوسنة وشعب الشيشان، هذين الشعبين المسلمين اللذين يتعرضان الآن لهجمة سياسية وعسكرية شرسة. ومن المفارقة أن عدو الشعبين المسلمين اللدود في كلا البلدين هو روسيا الاتحادية، لأن الصرب يستعينون بروسيا التي تدعمهم بالسلاح والرجال باستمرار منذ بدء عدوانهم الوحشي على شعب البوسنة. وتهريبُ الأسلحة المتطورة المخزونة في المانيا الشرقية لحلف وارسو السابق الى الصرب، واستخدامُ حق الفيتو لمنع حظر النفط عن الصرب لهما ابلغ دليل بأن روسيا الاتحادية هي المظلة العسكرية والسياسية الرئيسية للصرب.

اما بالنسبة للشيشان، فأكاذيب روسيا الاتحادية حول حيادها في النزاع بين الرئيس الشرعي لجمهورية الشيشان الرئيس جوهر دواديف و «المعارضة الشيشانية»، انكشفت بوضوح خلال الاعترافات الأخيرة لوزير الدفاع الروسي والصحافة الروسية بأن ما تسمى بالمعارضة الشيشانية هي «فبركة روسية» وبأنه بدون روسيا الاتحادية وخبرائها العسكريين وبدون طائرات السوخوي والطائرات العمودية والدبابات والأموال الروسية فإن المعارضة الشيشانية كانت قد استؤصلت منذ زمن بعيد خصوصاً وأنها لا تتمتع بأي تأييد شعبي داخل جمهورية الشيشان والتي تدل التطورات الحالية فيها بأن الرئيس دواديف هو زعيم الشعب الشيشاني بل وزعيم شعوب شمال القوقاز الاسلامية، والتي تدفق المتطوعون منها بالمئات كما نقلت وكالات الانباء العالمية، الى غروزني للقتال الى جانب الرئيس دواديف ضد الغزو الروسي الوشيك لجمهورية الشيشان.

وحيث أن «القلم» هو بمثابة اللسان في التعبير بالكلمات المكتوبة مقابل الملفوظة باللسان، فإن ما قاله ولم يقله الكُتّاب العرب عن شعب البوسنة بحاجة إلى تمحيص، خصوصاً وأن كلْمَ اللسان (القلم) أنكى من كلم السنان، وبالتالي فإن روسيا الاتحادية تستحق كَلْمَ اللسان وباقصى الدرجات لأن الجزاء يجب أن يكون من جنس العمل. وما تفعله روسيا الاتحادية بشعبي البوسنة والشيشان هو من أبشع درجات العدوان.

ما يخص شعب البوسنة، فإن الأقلام العربية اكتفت بالشجب والتنديد بوحشية الصرب وخرقهم للقرارات الدولية لكنها تناست المحرّك الرئيسي على روسيا الاتحادية في العالم العربي والاسلامي من حيث التجارة واعطاء التسهيلات التجارية ومن حيث إقامة المشاريع المشتركة خصوصاً وقد تبين بما لا يدع مجالاً للشك وبعد موقف روسيا الاتحادية الأخير في مجلس الأمن حيال القضية البوسنية، بأن ما يتعرض له شعب البوسنة من مآس إنسانية سببها الحقيقي هو روسيا الاتحادية وبريطانيا وفرنسا وهم المثلوث الشيطاني» في مأساة البوسنة.

باختصار لم تطالب «الأقلام العربية والاسلامية» باستخدام السلاح الاقتصادي العربي والاسلامي لرفع الظلم والاضطهاد وحرب التجويع والإبادة التي يتعرض لها شعب البوسنة. وكان أقصى ما جادت به هذه الأقلام في ميدان «جهاد الكلمة» هو «البكاء على أطلال سراييفو وبيهاتش» وغيرها من المناطق البوسنية. وإنصافاً لهذه الأقلام فإن «مدادها سال كالأنهار» وذلك حزناً على مصير شعب البوسنة.

اما فيما يخص جمهورية الشيشان، فإنه للأسف الشديد لم تحرّك أقلام الكُتّاب العرب والمسلمين ساكناً وكأنها تشارك الدول العربية والاسلامية في وجهة نظرها السياسية والتي تعتبر أن ما يحدث في جمهورية الشيشان هو من «الشؤون الداخلية لروسيا الاتحادية وبأن الشيشان هم «انفصاليون» وبأن جمهورية الشيشان هي «شعب روسي يحاول الانفصال».

وإلى أصحاب هذا «الرأي السياسي» حكومات وكتّاباً أقول:

وَيْحَكُمْ. وهل نسيتم حرب القوقاز الأولى وكيف قاتلت شعوب شمال القوقاز الاسلامية تحت راية التوحيد الاسلامية ضد قوات القياصرة الروس الغازية لشمال القوقاز؟

هل نسيتم الإمام منصور الشيشاني والإمام غازي محمد والإمام شامل الداغستانيين وجهاد هؤلاء الأئمة دفاعاً عن حرية بلادهم الاسلامية؟

هل انقضاء السنوات على الظلم يجعل هذا الظلم شرعيا ويصبح المظلوم مذنبا لانه طالب بحقه عندما اراد الله وشاء له ذلك؟

إذا كانت هذه هي القاعدة، فإن إسرائيل هي الحاكم الشرعي للفلسطينيين وبالتالي فإن الانتفاضة الفلسطينية ومن قبلها الثورة الفلسطينية كانتا خارجتين عن الشرعية، ودعم العرب والمسلمين لكليهما كان تدخلاً في الشؤون الداخلية لاسرائيل.

هكذا يقول المنطق يا اهل المنطق ويا اولي الالباب.

للتذكير يا ايها الكُتّاب العرب والمسلمون.

كتاب الكاتبة والمؤرخة الامريكية «لزلي بلافش» والذي يعتبر افضل المراجع التاريخية الخاصة بحرب القوقاز الاولى. حمل إسم «سيوف الجنة» وقد اختارت المؤرخة والكاتبة الأمريكية هذا الاسم من واقع احداث هذه الحرب والتي لخصتها المؤرخة الامريكية في مقدمة الكتاب بالقول

حرب المريدين(*) هي حقبة وزمن الشريعة الاسلامية في شمال القوقاز حيث قام شامل بإحياء وفرض الشريعة الاسلامية في شمال القوقاز واستخدمها كمصدر قوة ضد الغزو الروسي.

إنها حقبة قاتل فيها جنود شامل حربا مقدسة من اجل الله ومن اجل الحرية. إنها حقبة سار فيها المقاتلون الجبليون لقتال الروس وهم يرتلون القرآن ويترنمون بالاناشيد الدينية وكانت سيوفهم بالنسبة لهم... مفاتيح الجنة». [من كتاب «سيوف الجنة»، صفحة ٢ Sabres of Paradise].

وللتذكير ايضا ايها الكُتّاب العرب والمسلمون.

(*) المريدين نسبة الى الحركة المريدية Muridism والتي قادت المقاومة الاسلامية ضد الغزاة الروس في حرب القوقاز الاولى والمريد هو الشخص الذي التحق بقوات شامل الاسلامية للجهاد ضد القياصرة الروس.

خسائر القوات القيصرية خلال الثلاثين سنة المتواصلة التي استغرقتها حرب القوقاز الاولى بلغت نصف مليون جندي وضابط جنرال هلكوا في بلاد الشيشان والداغستان

وللتذكير ايضا

في عهد الشيوعية. قام ستالين عام ١٩٤٤ م بنفي الشعب الشيشاني بأكمله (وشعوب إسلامية اخرى في الاتحاد السوفياتي السابق) الى سيبيريا وكازاخستان وقيرغيزيا وهلك من ذلك الكثير من الشعب الشيشاني في معسكرات الاعتقال الرهيبة في مناطق النفي اكثر من ربع مليون شيشاني بين شيخ وامرأة وطفل وشاب وذلك بسبب التعذيب او البرد او الجوع. [من كتاب «قتلة الأمم» ص ٢٨ The nation Killers للمؤلف الأوروبي روبرت كونكوست].

على اي حال. واذا كان هذا «التذكير» والعودة الى الماضي لن يُحرّك «سكون» اقلام الكُتّاب العرب والمسلمين لنصرة الشعب الشيشاني في الذبحة الوشيكة التي سيتعرض لها من «الوطن الأم» للصرب، روسيا الاتحادية. فعندها لا يسعني الا القول: سامحكم الله وادخلكم الجنة على «إيمانكم الضعيف». ولكن لتعلموا بأن الشعب الشيشاني سيثبت لكم بأن الشاعر ابو تمام صدق حين قال:

السيف أصدق إنباء من الكُتُب

في حده الحدُّ بين الجد واللعب

وسيوف المسلمين في الشيشان ومعها سيوف المسلمين في شمال القوقاز ستكون على رقاب الروس تماما كما كانت سيوف جنود المعتصم على رقاب الكفار. فجميعها سيوف إسلامية. والسيوف الإسلامية عندما تُسلّ دفاعا عن حرمة ارض الإسلام فهي بالتاكيد ... «سيوف الجنة».

فرسان الميدان في الجنة... وفرسان الكلام في النار إذا خرست السنتهم عن نصرة الحق.

تتمة ـ مفاهيم حمل الدعوة فكرة وطريقة

وأتممت عليكم نعمتي...﴾ وذلك باتباع اساليب وطرق لا تمت إلى فكرة الإسلام وطريقته بشيء. وتعتمد على وجهة النظر الغربية في الواقعية والحل الوسط ونظرتها إلى المجتمع على انه مجموعة أفراد، وليست وجهة نظر الإسلام الذي يرفض الواقع ويسعى إلى تغييره وعدم التكيف معه. ولا يعتمد الحل الوسط لانه ليس هناك وسط بين الإسلام والكفر. ويرى ان المجتمع مكون من افراد وعلاقات ناشئة عن انظمة، ولا صلاح للأفراد إلا بصلاح الانظمة. واقعة بذلك فيما حذر منه رسول الله ﷺ في قوله: «لن تقوم الساعة حتى تتبعوا سنن من كان قبلكم. حذو القذة بالقذة والباع بالباع. ولو ان احدهم دخل جحر ضب لدخلتموه. قالوا: اليهود والنصارى قال: فمن».

وليد عبد الوهاب المصري

كفكف الدمع

ايمن القادري

مهداة إلى المسلمين المتهمين بتهمة حبّ الله، في سجون العالم العربي، ولا سيما في الأردن. وقد جاءت تحكي صرخة كل منهم إلى سائر المسلمين.

كفكف الدمعَ، دموعُ الحرِّ علّمْ ... وامسح الخدَّ... أترضى إنْ تألّمْ
ألقِ من معجمك الرثِّ الأسى ... أو فأوقدْ فيه ناراً تتضرّمْ
طهِّر القلبَ من اليأس ضحىً ... أو فقلْ للشمس تُصليه فيُعْدَمْ
اخنق الخوفَ بكفّيْ ناقمٍ ... أو فاعلنْ: لستُ من الله أسلّمْ
كفكف الدمع.. جراحي حممٌ ... ودمي ملتهبٌ سالَ وأسقم
ليس في جسمي المسجّى موضعٌ ... لم تنلْهُ طعنةُ الرمحِ المسمَّمْ
كبدي، رأسي، فؤادي، أضلعي، ... كلُّ ما فيَّ قروحٌ تتورَّمْ
لا تزدْ آلام عبدٍ رسفتْ ... في قيود قدماه، فتجهَّمْ
لا.. دع الدمع. وإنْ أحببتني ... فاكسُر الطوقَ وحرِّرني.. تقدَّمْ
وإذا أعيتك عنّي حيلةٌ ... فاسأل الله فكاكي.. وتبسَّمْ
أنا مسٌّ سيق إلى السجن، وفي ... كفّه المصحفُ... والليلُ تكتَّمْ
تُهمي واضحةٌ... حاشدةٌ ... وسِجلّي أسودُ اللون مُرقَّمْ
وعلى دفته قد كتبوا: ... «الأصوليُّ فلانٌ»... ثمّ... «يُعدَمْ»

* * *

مات «هارونُ»[1] فَمَنْ أحفادُه؟ ... ليَروْا «نقفورَ» فينا يتحكَّمْ
أين من يصرخ «كلبَ الروم، قفْ!» ... ليس من أوقدَ نارَ الكفر يسلّمْ
«يا وليدَ الكفرِ من كافرةٍ، ... ها هو الجيشُ سياتيك فتُرْغَمْ»

* * *

ومضى «معتصمٌ»[2]، لكنّها ... صرخةُ المرأةِ عادتْ، وهْي أعظم
أين من يهتفُ: «لبيك اثبتي، ... فقبولُ الشرك، هذا اليوم، تُهزَمْ»
«زحفُ أجنادي سيُفني جمعَهُمْ ... في حصونٍ حَسِبوا أنْ ليس تُحْطَمْ

* * *

وانقضى حكمُكَ فارقُد في الثرى ... آهِ، يا عبدَ الحميدِ[3]... الليلُ أظْلَمْ
أين من يصرخ من أعماقه ... في بني صهيون: «لا، فالحربُ أقوم»

---

(١) هارون الرشيد، والإشارة هنا الى قصته مع نقفور ملك الروم.
(٢) الخليفة المعتصم، والإشارة هنا الى قصته مع استغاثة المرأة مما ادى الى فتح عمورية في بلاد الروم.
(٣) السلطان عبد الحميد الثاني، والإشارة الى موقفه من عرض هرتزل بشأن فلسطين.

«ثمنُ القدسِ لهيبٌ حارقٌ يجعلُ الأجسادَ منكم دون مَعْلَمْ»

* * *

دولةُ الإسلامِ ولّت... دفنت معولُ الدفنِ عُرُوبيٌّ مُخضرَمْ
انطوى سلطانُ شرعِ المصطفى وزوى القرآنُ في قبوٍ مُهدَّمْ
هجروا القرآنَ... داسوا فوقه، مزّقوه، واستباحُوا كلَّ محْرَمْ
بُعْثرَ التنزيلُ... آيٌ يُزدرى... آيةٌ تُنقشُ... والباقي يُنَغَّمْ

* * *

جُرْحُ أصفادي لا يُزعجني فأنا الحرُّ، أعادي، أتكلَّمْ
أنتم الجرحُ.. بصمتٍ مُطبِقٍ صارَ في تشريعكم «أولى» و «أسلم»
أينَ فيكم عزّةٌ هادرةٌ تقصفُ الطاغوتَ بالطودِ المُقطَّمْ
أينَ أنتم؟ ليس فيكم أثرٌ، أهو نومٌ، أهو موتٌ؟ لستُ أعلمْ
أنتُمُ جيلُ المخازي فاسكَرُوا بأغاني الغَرْبِ والرقْصِ المُرَخَّمْ
اهنأُوا: أنتمْ عبيدٌ خلّصٌ واسجدوا للغربِ: فقد جادَ وأكرمْ
أنتم اللطخةُ في ناصعةٍ بكمُ التاريخُ والأيامُ تُوصَمْ
كم رجمتمْ شخصَ إبليسَ معاً وهو فيكمْ، فلماذا ليس يُرجَمْ؟

* * *

خَلْفَ أسوارِ دُناكم أمّةٌ أقسمت بالله، والأبوابُ تُحْكَمْ
من قرارِ السجنِ تمضي قبضةٌ تسحقُ الأوثانَ كالزرعِ المُهشَّمْ
من رُفاتِ الحُرِّ واستشهاده قبسٌ يفتلُ بالليلِ، فيُضْرَمْ
لم تزلْ طائفةٌ ظاهرةٌ تنهجُ التحريرَ من قيدٍ بمعصمْ
وشبابُ الحقِّ ما زالوا هنا يزرعونَ النورَ، حيثُ الدربُ عُتْمْ
لا تقلْ: «أنتم قليلٌ»، تزدري بصراخِ الأخت «فاروقٌ»[4] تلعثَمْ
كيدي حرِّي، ونفسي شُوِّقتْ لأميرٍ يسرُجُ الخيلَ المُطهَّمْ
لكتابِ الله دستورِ الورى لجيوشِ الفتحِ تنثالُ وتَغْنَمْ
لا تقرّي مقلتي، من قبلِ أن تُحْكَمَ الأصقاعُ من كعبةِ «زمزم»

* * *

كفكفِ الدمعَ... دمي أجدى لكم ودعِ الدمعَ لأبكارٍ وأيِّمْ
كفكفِ الدمعَ فهذي جولةٌ بين إسلامٍ وكفرٍ، فاصحُ واعْلَمْ
حطِّمِ الكفرَ وحطِّمْ جُنْدَهُ، حطِّمِ الطاغوتَ وادفُنْ ما تحطَّمْ
لا تدعْ فوقَ الثرى يا صاحبي غيرَ شمسِ الحقِّ.. تعلُو.. تتبسَّمْ
يا أخي، تلكَ يدي، فامضِ معي، كفكفِ الدمعَ، دموعُ الحُرِّ علْقَمْ

(4) الفاروق هو عمر بن الخطاب، والإشارة هنا الى قصة إسلامه حين واجهته اخته فاطمة واستصرخت فطرته.

كلمة أخيرة

وحده الإسلام يلحق الهزيمة مرة وإلى الأبد باسرائيل

في حديث أجراه مراسل الحياة مع الشيخ عبد العزيز عودة (حركة الجهاد الإسلامي) في ٩٥/١/٧ قال الشيخ عبد العزيز إن الإسلام وحده قادر أن يلحق الهزيمة مرة وإلى الأبد بإسرائيل.

وعن طبيعة الصراع مع اليهود قال: الصراع بين نقيضين، صراع وجود بين حضارتين، فالإسلام ليس طقوساً فحسب، الإسلام عقيدة ونظام حياة وشريعة، وعملية تقدم الانسجام بين المخلوق والكون، إنه فكرة كلية وهو يجيب عن أخطر الأسئلة في حياة الإنسان وتاريخ البشر، من أين جاء الإنسان ولماذا وأين؟.

اليهود عاد ظهورهم يشكل مشروع سياسي ومشروع صهيوني عندما بدأت شمس الإسلام بالأفول، عندما سقطت آخر خلافة إسلامية، وآخر شكل من أشكال السلطة السياسية المتمثلة في الخلافة العثمانية، وإن كل من يفهم أن الحركات الإسلامية ستنتهي عندما يزول الصراع مع الصهيونية، يكون فهمه جزئياً، لأن للإسلام دوراً تشريعياً وإن كانت إحدى مهماته اليوم مواجهة ذاك المشروع الصهيوني.

عندما يأتي الإسلام في لحظة انهزام أفكار أخرى فذلك لأنه الملجأ والمأوى. فالرئيس عبد الناصر هرع، وهو اليساري، في العدوان الثلاثي إلى الخطاب من مسجد الأزهر، وثمة من استعمل كلمة الجهاد أثناء الأزمة. أنا أقبل أن يقال إن الإسلام يشكل مأوى الأمة في النكسات ولا أقبل أنه شرطة للنجدة يتم الابتعاد عنه وقت الانتصار، فهو نظام حياة.

إن جبهة الإنقاذ نجحت في الانتخابات لكن النتائج ألغيت، وحقها هُضم بعد أن اختارتها الجماهير، فلجأت إلى العنف المسلح عندما حال النظام دون استلامها. أما إذا قيل أنها تدمر الاقتصاد فهذا السؤال يوجه إلى السلطة والأنظمة التي تسلب هذه الحركات حقها وتمنعها من التنفس، ولا يجوز حشر الحركات في الزاوية فإذا حاولت الصراخ قيل إنها تخرب المجتمع، وليس من طلب الحق فأخطأ كمن طلب الباطل فأصاب، أرى أن الأنظمة طلبت الباطل فوجدته، أما الحركات الإسلامية فطالبة حق ربما أخطأت الطريق لأني أؤمن بأن الدعوة يجب أن تكون بالفكر لأي عمل إسلامي معاصر وأن تكون ألويته التعددية □

بطولات في بلاد الشيشان

مقاتلون شيشانيون وسط غروزني في ١٢/١/٩٥ (اب)

مقاتلون شيشانيون على دبابة يصيحون «الله اكبر» قبالة قصر الرئاسة في غروزني في ٧/١/٩٥ (اب).

● تحية إكبار ومحبة إلى مجاهدي الشيشان الأشاوس الأماجد.

● أنتم الآن تشقون فجراً منيراً لأمتكم الاسلامية بعد ليلها البهيم الطويل.

● إنكم تذكروننا بجهاد الصحابة الكرام وسلفنا الصالح وصبرهم وتضحياتهم.

● إنكم ترفضون ذلّ الخنوع للكفار، وتُحْيون فريضة الجهاد، فهنيئاً لكم الأجْرُ الذي بشّر به رسولُ الله ﷺ: «من سَنَّ في الاسلام سُنّةً حسنة فله أجْرُها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن يَنْقُصَ من أجورهم شيء».

● مزيداً من الصبر والصمود أيها الأبطال، فأنتم الآن تكتبون ملحمة عالمية. عيون العالم كلها مسلّطة عليكم، وقلوب أمتكم معكم، والنتيجة إمّا نصرٌ مؤزّر على الأعداء وإمّا شهادة كريمةٌ في سبيل الله.

● إذا كان حكام المسلمين قد خذلوكم وقصّروا في نجدتكم فإن شعوب المسلمين سيهبّون لتلبية صوت الأخوّة ونداء الجهاد، وسيجعلون العالم كله ساحة حرب ضد الروس المعتدين.

● الروس بعدوانهم هذا عليكم يفتحون الباب لتمزيق امبراطوريتهم، ويحفرون قبورهم بأيديهم، وسواء أفلحوا في احتلال عاصمتكم أو أخفقوا، فان الدائرة عليهم ستدور. لن تنطفىء النار التي أشعلوها حتى تشمل كل القوقاز وتحرقهم بلهيبها.

● ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكمْ تفلحون﴾ □